

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمد مبروك

موقف الإسلام

في

الفن والعلم والفلسفة



**موقف الإسلام
من
الفن والعلم والفلسفة**

الناشر :	دار الرشاد
العنوان :	١٤ شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون :	٣٩٣٤٦٠٥
رقم الإيداع :	٢٠٠٣/٤٦٤٠
التقييم الدولى :	1 - 005 - 364 - 977
المجموع :	أرمس
العنوان :	٣٢ شارع على عبد اللطيف - مجلس الأمة - القاهرة
تليفون :	٧٩٦٤٤٠٤
الطبع :	عربية للطباعة والنشر
العنوان :	١٠ ، ٧ ش السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون :	٣٢٥١٠٤٣ - ٣٢٥٦٠٩٨

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية :	١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م (الأول للدار)
مراجعة :	محمد دياب
غلاف :	وانل حمدان
خطوط :	لمعى فهد

موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود





مقدمة

كثيراً ما يلتبس على بعض الناس المفهوم الحقيقي لزاوية من زوايا الثقافة، وكثيراً ما يلتبس عليهم أيضاً موقف الدين من جانب من جوانبها .

ونحب هنا - بتوفيق الله - أن نتحدث في صورة تخطيط عام ، أو في إجمال مُجمل عن علاقة الدين ببقية موضوعات المعرفة . ولعلّه ينبغي - من أجل الوضوح - أن نقول كلمة في تعريف كل من هذه الموضوعات .

ولسنا بصدد تعريفات نناقش فيها، ونجادل، ونُورد ما سبق منها، باحثين مُفحصين، أو ناقلين مُختبرين . . . كلاً، وإنما نُورد تعريفات موجزة تعطي الفكرة، ولا تُجانب الصواب إن شاء الله .

ونقول :

- ١- إن ما بُنيَ على الوحي : هو دينٌ، وهو شريعةٌ .
- ٢- وما كان مرده إلى الذوق والعاطفة والوجدان، فهو فنٌ .
- ٣- والقواعد والقوانين - التي قامت على الملاحظة والتجربة والاستقراء - علمٌ .

٤- أما مجال ما وراء الطبيعة ، ومجال الأخلاق بمعناها الشامل ، هذا المعنى الذى يدخل فى نطاقه التشريع ونظام المجتمع ، فإن ما بُنى من ذلك كله على العقل والبحث فهو : فلسفة .

وعلى أساس من هذه التعريفات الموجزة - التى لا نشك فى أنها لا تبتعد عن الصواب - نسير فى هذا البحث ، بإذن الله .

دكتور

عبد الحليم محمود

عن الفن

* ما موقف الدين من الفن؟

وجوانب الفن متعددة، تشمل:

- الشعر .

- القصص والروايات .

- التصوير .

- النحت .

- السينما .

- المسرح ... إلخ .

* ما موقف الدين من ذلك كله ؟ ..

١- ونبدأ بالشعر

يقول الله تعالى عن رسوله ﷺ : ﴿وَمَا عَلَّمَاهُ الشِّعْرَ﴾ (١).

لقد نفى سبحانه أنه علّمه الشعر . فهل لذلك من تعليل ؟

لقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا يَتَّبِعِي لَهُ﴾ (٢).

هناك - إذن - مستويات من الإنسانية ، هي في سموها ترتفع عن مستوى الشعر .

ومن هذه المستويات :

مستوى الرسل ، ولعل مستوى الصّدّيقية - في قمته - لا يناسبه أيضاً مستوى الشعر ، ولم يكن أبو بكر ، رضوان الله عليه - وهو قمة الصّدّيقين - شاعراً .

ولكنّ الله سبحانه وتعالى تحدّث عن مستوى محمد ﷺ أي : تحدّث عن أعلى مستوى في المخلوقات .

يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه الإمام مسلم - :

« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

(١ ، ٢) سورة يس : ٦٩ .

وكل من يحاول - في صدق - أن يرتقي صاعداً في المستوى
الروحي ليكون الرسول ﷺ له أسوة وقدوة، فإنه يتزده شيئاً
فشيئاً عن الشعر .

إن الله سبحانه لم يعلم رسوله ﷺ الشعر، ولم ينشئ رسول
الله ﷺ الشعر، بل وكان ﷺ يتحرج عن رواية الشعر .

يقول الإمام الألوسي:

« لا يُردُّ أنه عليه السلام قال يوم حنين، وهو على بغلته
البيضاء وأبو سفيان بن الحارث أخذ بزمامها ولم يبق معه - عليه
الصلاة والسلام - من الناس إلا قليل: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن
عبد المطلب»، لأننا لا نسلّم أنه شعر، فقد عرفوه بأنه الكلام المقفّ
الموزون على سبيل القصد، وهذا بما اتفق له عليه الصلاة والسلام
من غير قصد لوزنه، ومثله يقع كثيراً في الكلام المنثور، ولا
يسمى شعراً، ولا قائله شاعراً ».

ولكن الآية الكريمة - على كل حال - لا تأمر الرسول ﷺ
بعدم قوله . . يقول صاحب «روح المعاني»:

« وليس في الآية ما يدل على أن النبي ﷺ لا ينبغي له التكلم
بشعر قاله بعض الشعراء والتمثل به، وفي الأخبار ما يدل على
وقوع التكلم بالبيت مترناً نادراً، كما روى أنه - عليه الصلاة
والسلام - أنشد بيت ابن رواحة:

بَيْتٌ يُجَافِي جَنَبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

وإشاده إياه كذلك مذكور في «البحر» ، وروى أنه عليه السلام أصاب إصبعه الشريفه حخر^١ في بعض غزواته فدمست ، فتمثل بقول الوليد بن المغيرة (على ما قاله ابن هشام في السيرة ، أو ابن رواحة على ما صححه ابن حنوري) .

مَا أَنتَ إِلَّا إِصْبَعٌ ذَمِيتُ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتُ
وأحياناً كان يتمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببیت من الشعر ، ولكنه تمثل به غير مورون . . ومن ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام - أنشد :

سَتُدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ^(١)
فقال أبو بكر رضي الله عنه . ليس هكذا يا رسول الله ؟
فقال - عليه الصلاة والسلام - :

«إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِشَاعِرٍ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي»
ويتحدث المفسرون والمحدثون عن امثال هذا ، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد ، وابن أبي شيبة ، عن عائشة قالت :
«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَرَأَتْ^(٢) الْخَبَرَ تَمَثَّلَ بِبَيْتٍ طَرَفَةٍ : وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ»

(١) ورد هذا البيت في معاني الشعر الجاهلي صوفه بن ابي مكرم .
سَتُدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ
(٢) استرأت - استظ ، والمراد انه لا يدرك يعرف الخبر مهما تأخر

وأخرج بن سعد، وابن أبي حاتم، عن الحسن أنه عليه السلام كان
يتمثل بهذا البيت : « كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا »
فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ، ما علمك لشعر ، وما
يسغى لك .

وأخرج ابن سعيد، عن عبد الرحمن بن أبي الررداء أن لسي
عليه السلام قال للعباس بن مرداس : أرأيت قولك :
أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَيْبِ مَدَّ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةِ
فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول
الله ، ما أنت بشعر ، ولا راوية ، ولا يسغى لك ، إنما قال : « بَيْنَ
عُيَيْنَةِ وَالْأَقْرَعِ » .

وروى أنه قيل له - عليه الصلاة والسلام - مَرُّ شَعْرُ الدَّسِ ؟
فقال : انذى يقول :

أَلَمْ تَرَبَّانِي كُنَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبْ طِيًّا
والشطر الثاني من البيت هو :
وَجَدْتُ بِهَا طِيًّا وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبْ

وأخرج البيهقي في مسنده بسند فيه مجهول ، عن عائشة قالت

« ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط إلا بيتاً واحداً :
تَفَاءَلُ بِمَا تَهْوَى يَكُرُّ ، فَلَقَلَّمَا يُقَالُ لِنِسَاءٍ كَانَتْ ، إِلَّا تَحَقَّقَ
قالت عائشة : وَلَمْ يَقُلْ « تَحَقَّقْ » لئلا يعر به فيصير شعراً » .

ولقد كان المكبّون يحاولون أن يقللوا من شأن القرآن الكريم ،
ويقللوا من شأن الرسول ﷺ ، فكان من وسائلهم في ذلك
قولهم عن القرآن أنه شعر ، وعن الرسول أنه شاعر ، وكان القرآن
يرد عليهم في ذلك
يقول الله تعالى :

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ
قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) ﴾ (١)

ولقد كان كثير من العرب أنفسهم - حتى غير المسلمين منهم -
يؤمنون عن القرآن أنه شعر ، وعن الرسول ﷺ أنه شاعر .
هذا فيما يتعلق بالرسول ﷺ أما فيما يتعلق بالشعر نفسه
فإن الله تعالى يقول

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَارُونَ (٢) ﴾

ثم يعلل الله تعالى هذه القصيدة ، فيقول

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٣) ﴾

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٤) ﴾

ومن الطرائف التي لها معها الحميق لمن يتدبرها - رعم أنها
طرائف - ما يرويه الحافظ ابن كثير ، قال ،

(١) سورة الشعراء ٣٨ - ٢٢٤

(٢) سورة الشعراء ٢٢٦

(٣) سورة الشعراء ٢٢٥

(٤) سورة الشعراء ٢٢٥

اختلف العلماء فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب
 حدًّا . هل يقام عليه الحدُّ بهذا الاعتراف أم لا ؟ . . . لأنهم يقولون
 ما لا يفعلون ؟ . . .

- على قولين . وقد ذكر محمد بن إسحق ، ومحمد بن سعد
 في (الطبقات) والزيير بن بكر في كتاب (الفكاهة) أن أمير
 المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل لنعمان بن عدي بن بضلة
 عبي ميسان، من أرض البصرة وكان يقول الشعر، فقل:

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسَنَاءُ أَنْ حَلِيلَهَا	بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَتَمٍ
إِذَا شِئْتُ غَتَّتَنِي دَهَاقِينَ قَسْرِيَّةٍ	وَرَقَاصَةً تَحْثُو عَلَى كُلِّ مَبْسَمٍ
فَإِنْ كُنْتُ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْتَفْنِي	وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَلَتَّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوُّهُ	تَنَادُّمَنَا بِالْحَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: إي
 والله ! إنه ليسوؤني ذلك، ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته .
 وكتب إليه عمر:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمْدُ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّلُوعِ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿١﴾

أما بعد، فقد بلغني قولك:

(١) سورة عمر ٣-١

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ تَنَادُّمُنَا بِالْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ
وَأَيُّمُ اللَّهِ ! إِيهَ لَيْسُوؤُنِي ذَلِكَ ، وَقَدْ عَزَلْتُكَ .

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عَمْرِو بْنِ بَكَّةَ هَذَا الشَّعْرَ

وَل : وَاللَّهِ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - مَا شَرِبْتُهَا قَطُّ ، وَمَا ذَاكَ الشَّعْرَ إِلَّا
شَيْءٌ طَفَحَ عَلَى لِسَانِي .

فَقَالَ عَمْرٌ : أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ - وَاللَّهِ - لَا تَعْمَلُ لِي عَمَلًا أَبَدًا ،
وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ ! .

فَلَمْ يُذَكِّرْ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَلَى الشَّرَابِ - وَقَدْ ضَمَّنَهُ شَعْرَهُ - لِأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . وَلَكِنْ دَمَّ عَمْرٌ ، وَلامَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَعَزَلَهُ
بِهِ .

وَحَكَى الزَّمَخْشَرِيُّ ، عَنْ الْفَرَزْدَقِ ، أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ عَمْدِ الْمَلِكِ
سَمِعَ قَوْلَهُ :

فَبِتُّنَ بِيَجَائِبِي مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُّ أَفْضَرُ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ
فَقَالَ : قَدْ وَجِبَ عَلَيْكَ الْحَدُّ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ دَرَأَ اللَّهُ عَنِّي الْحَدَّ قَوْلَهُ :

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) .

وَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَنْ وَجْهَةً نَظَرَ الْفَارُوقُ ^(٢) أَنْ مِنْ يَتَوَلَّى وَلَايَةَ
لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكُونَ عَاشًا بِالْقَوْلِ أَوْ بِالسُّلُوكِ .

(١) سورة الشعراء ، ٢٢٦

وإنه لمن المؤسف أن يوجد في البلاد الإسلامية الولاة الذين
 دَبَذْنَهُمُ الْعَبَثَ ، يَجْهَرُونَ بِهِ أَحْبَانًا ، وَيُسْرِوْنَ بِهِ أَحْيَانًا ، وَلَكِنْ
 أَمْرُهُمْ حِينَ يُسْرِوْنَ بِهِ يَعْلَمُهُ نَدْمَاؤُهُمْ وَأَحَدُهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ لَا
 يَصْلَحُ بِهِمْ مَحْتَمَعٌ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِمْ بِهِ أُمُورٌ

وَإِذَا كَانَ لِشَعْرٍ لَا يَسْغَى لِعَصْرِ الْمُسْتَوِيَّاتِ ، فَهَلْ نَأْخُذُ مِنْ
 ذَلِكَ أَنَّهُ حَرَامٌ ؟ . .

أَمْ هَلْ نَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ ؟

نَحْبُ قُلَّ الْإِجْسَبَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ كَانَ يَشْجَعُ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ عَلَى قَوْلِ الشَّعْرِ ، وَيَشْجَعُ غَيْرَهُ
 مِنْ شُعَرَاءِ الصَّحَابَةِ عَلَى قَوْلِهِ دَفْعًا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَرَدًّا
 عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

وَقَدْ أَنْصَتِ الرَّسُولُ ﷺ لَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ وَهُوَ يَشْدُقُ صِدْقَهُ
 الْمَشْهُورَةَ :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ مُنْسِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفْدَ مَكْبُولٌ
 وَفِيهَا يَمْدَحُ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ الرَّسُولَ ﷺ وَصَحْبَهُ يَقُولُهُ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ مَسْلُودٌ
 فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ قَاتَلَهُمْ بِيْطَنٍ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا رُؤُلُوا
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَلَا مَسِيلٌ مَعَارِيلُ

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ إِعْجَابِ الرَّسُولِ ﷺ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَهَذَا الْمَدِيحِ

الحمل، أن خلع عليه عليه ثردته الشريعة التي احتفظ بها،
واحتفظ بها ورثته من بعده زمناً طويلاً.

وهناك في سيرة الرسول عليه القصائد العصماء من أمثال
الرودة والهمرية. إنها دُرر نفيسة ترضى الدوق والوجدان
ولشعور الراقى! وإسا حميعاً سعد حيماً يقرأ لشوقي في
معارضته لهمزية الوصيرى قوله:

وإذا سخوت بلغت بالجود مدى	وفعلت ما لا تفعل الأنواء ^(١)
وإذا عفوت فقادراً ومُقَدِّراً	لا يستهين بعفوك الجُهلاء
وإذا رحمت؛ فأنت أم أو أب.	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فبما هي غضبة	في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رصيت فذاك في مرضاته	ورضا الكريم تحلّم ورياء
وإذا خطت فللمنار هزة	تغرو الندى ^(٢) وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتباب كأنم	جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا حميت الماء لم يورد ولو	أن الفياصر والملوك ظماء
وإذا أجرت فأنت بيت الله لم	يدخل عليه المستجير عدا

(١) الأنواء: المطر الشديد، أو لعطاء وإعداد، صفة عليه بالكرم، جود والسحاب

وكثرة الخير والعطاء

(٢) أى أن الخشوع يعم المكدن كله بمن فيه

وَإِذَا مَكَتَ النَّفْسَ قُتِمَتْ بِرَّهَا
وَإِذَا بَنَتْ فَخَيْرُ زَوْجٍ عَشْرَةٌ
وَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسِّمًا
وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أُعْطِيَتْهُ
وَإِذَا مَشَيْتَ إِلَى الْعِدَا فَعُضُنْفَرٌ
وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلْسَفِيهِ مُدَارِيًا
فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ (٣) مَهَابَةٌ
وَلَوْ أَنَّ مَا مَلَكَتْ بِدَاكِ الشَّاءُ
وَإِذَا انْتَنَيْتَ قَدُونُكَ الْآبَاءُ (١)
فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ
فَحَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ
وَإِذَا حَرَيْتَ فَإِنَّكَ النَّكْبَاءُ (٢)
حَتَّى يَضِيقَ بِعَفْوِكَ السُّفَهَاءُ
وَلَكِنَّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَحَاءُ

ويمكن أن يسأل إنسان : وماذا كان موقف الصحابة و التابعين
من الشعر ؟ ..

إن موقفهم هو موقف الرسول ﷺ منه ، وعن ذلك نذكر
ما يلي :

عن عمر الركاء - سنده - عن احوهرى والمهلبى ، قار :
بيّنا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس
من احورج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين

(١) الباء بالاهل : الدحول عليهم . والانه : أن يصبح ذا بين

(٢) النكباء ، ريع نهبة بين ريحين (٣) سطا جمع سطوة

مصبوعين موردين أو مصرين (فيهما شيء من صبرة) حتى دخل
وحلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا ، فأشده :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَايَةُ فَمُبَكِّرُ غَدَةِ غُلَامٍ رَائِحٍ فَمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها ، فأقبل عليه ابن الأزرقي فقال : الله يا ابن
عباس ! إننا بصرب إليك أكباد الإبل من أقاصى البلاد ، سألناك
عن الحلال والحرام فتشاكل عنا ، ويأتيك علام مترف من مترفي
قريش فيشذك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزِي ، وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسِرُ
فقال : ليس هكذا قال

قال : فكيف قال ؟

قال :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى ، وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَحْضَرُ
فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت !

قال : أجل ، وإن شئت أن أشذك القصيدة أنشدتك إياها !

قال : فإني أشاء .

فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها .

وفي رواية . أن ابن عباس أشدها من أولها إلى آخرها ، ثم
أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة ، وما سمعها قط إلا تلك مرة
صفحة (أى : مرورا) . قال . وهذا غاية الذكاء !

فقال له بعضهم ما رأيت أذكى منك - قَطُّ .
 فقال : بكنى ما رأيت - قَطُّ - أذكى من علي بن أبي طالب عليه السلام .
 وكان ابن عباس يقول ما سمعت شيئاً قط إلا رويته ، وإني
 لأسمعُ صوت السحرة فأشدُّ أذني كراهة أن أحفظ ما يقول !
 قال : ولأمله بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة . (أمر ال
 نَعْم . . .) فقال :
 إننا نستحيدها

فان لربير من بكر في حبره عن عمه : فكان ابن عباس بعد
 ذلك كثيراً ما يقول هن أخذت هذا المعيرى شيئاً بعدنا ؟
 قل : وحدثني عبد الله بن رافع بن ثوبان ، قال
 كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة
 (فيصحي وأما بالعشي فيحصر) قال لا ، بل (فيحري ، وأما
 بالعشي فيخسر) .
 وفي هذا الخبر ثم أقبل - أي ابن عباس - على ابن أبي ربيعة
 فقال :

أشدُّ ، فأشده . (شط غداً دار جيرانا) وسك . فقال ابن
 عباس «وللدار بعد عد أبعد» فقال له عمر كذبت قلت -
 أصدحك الله - أسمعته ؟ قل لا ، ولكن كذبت ينعي
 وعن هشام الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس
 وهو في المسجد الحرام فقال متعني الله بك ! إن نفسي قد ناقت
 إلي قول اشعر ودرعتني إليه ، وقد قلت منه شيئاً أحببت أن
 تسمعه وتستره علي !

فقال أشدنى فأشده . (أمن ال نعم أنت غاد فمكر) .
فقال له : أنت شاعر يا ابن أخي ، فقل ما شئت . قال وأنشد
عمر هذه القصيدة طريحة بن عبد الله بن عوف الرهري وهو
راكب ، فوقف وما زال شاقاً ناقتة حتى كتبت له ^١

وعن عبد الحار بن سعيد الماسقي ، عن أبيه ، قال : دخلت
مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحو ، فإيه لمعتمد على
يدي إذ مررنا سعيد بن المسيب في مجلسه ، وحوله حذاؤه ،
فلأمت عليه فرد عينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، من أشعر
صاحبنا أم صاحبكم ؟

(يريد : عبد الله بن قيس ، أم عمر بن أبي ربيعة ؟)

فقال نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟

قال : حين يقول صاحبنا :

خَيْلِيَّ مَا نَالَ الْمَطَابَ كَأَمَّا	نَرَاهَا عَلَى الْأَذَرِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَابَةً	فَأَنْفُسُهُنَّ مِمَّا يُلَاقِينَ شُخْصُ
وَقَدْ أَتَعَبَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَأَنْتَحَى	بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَحُولُ مُقْلَصُ ^(١)
يَزِدْنَ بِمَا قُرُبَاً فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا	إِذَا رَادَ طُولُ الْعَهْدِ وَالْبُعْدُ يَنْقُصُ

ويقول صاحبك ما شئت .

فقال له نوفل : صاحبكم أشعر في الغزل ، وصاحبنا أكثر
أفانين شعر .

(١) المقلص : الشتم الحاد في سيرة

فقال سعيد : صدقت .

فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله
ويعقد بيده حتى وقى مائة ، فقال الكرى فى حديثه عن عبد
الخباب : قال مسلم : فلما انصرفنا قلت لموفل : أترأى استغفر الله
من إيشاد لشعر فى مسجد رسول الله ﷺ ؟^١

فقال كلاً ! هو كثير الإشاد والاستنشاد للشعر فيه . ولكن
أحسب ذلك للفخر بصاحبه

بعد كل ذلك نتساءل : هل موقف الدين من الشعر : الإباحة
إشء ، وإنشداً ، وسماعاً ، دون قيد أو شرط ؟
كلاً ! ..

يقول الله تعالى :

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٢١)
لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحِقَّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١)
ويقول سبحانه :

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَمَن يَعْلَمْ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)

(٢) سورة الشعر : ٢٢٤ - ٢٢٧

(١) سورة يس : ٦٩ ، ٧

لقد تحدثنا عن أن هناك مستويات ، هي من الكمال بحيث لا يتناسب معها الشعر ، وذلك مثل مستوى الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وكلام الله سبحانه وتعالى يتزه مستواه عن مستوى الشعر ، ولكن لآيتين الأوليين لا توحيان بتحريم الشعر . أما الآيات التي وردت في سورة الشعراء ، فلو اقتصرنا على الآيات الثلاث الأولى ، لأوحت بتحريمه ، ولكن ورد بعدها استثناء ؛ فانتفى التحريم المطلق ، وانتفى أيضاً أن يكون الشعر حلالاً مطلقاً .

إن هذا الاستثناء قد وضع شروطاً ، وهذه الشروط توافرت في كثير من الشعراء إما في جميع مراحل حياتهم وإما في حامها .

وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال - لحسان بن ثابت - :

« أَهْجَهُمْ » - (أى : المشركين) - أو قال : « هَاجَهُمْ » ، وجبريلُ مَعَكَ .

وأخرج الإمام « أحمد » في مسنده ، عن كعب بن مالك ، أنه قال للنبي ﷺ : إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما قد علمت ، وكيف ترى فيه ؟ . .

فقال لنبي ﷺ :

« إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّ
مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ » .

ويدأ الاستثناء ، وتبدأ الشروط بقوله تعالى :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) .

والإيمان حينما يتمكن من لقلب يعصمه من قول الفحشاء ،
ومن التغنى بها ، وكن الإيمان حياناً يكون محرد تصديق لا
يسهى إلى عصمة الإنسان عن قول السوء ، ومن أحسن ذلك أتعه
الله تعالى بقوله :

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢)

وما من شك فى أن عمل الصالحات من أهم ما يعصم الإنسان
عن التردى فى مهوى الضلال ، وأنه مما يمسك الإنسان عن
الانحراف عن عمل الصالحات أن يكون الله تعالى مذكوراً دائماً
فى شعوره وفى إحساسه ، ومن أجل ذلك أضاف الله تعالى
قوله :

﴿رَذَكُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾^(٣) .

والله سبحانه وتعالى يأمر فى عدة مواضع من الكتاب الكريم
بالذكر الكثير ، وهو سبحانه بأمر بذلك فى إطلاق مطلق ، ولكنه
سبحانه يذكر أحياناً إشاره موحية ، أو لمحة مسهة ، أو ملحطاً
نعليلاً جليلاً يبين مكانة التذكير ، كما يقول تعالى مثلاً :

١ ، ٢ ، ٣) سورة الشعراء ٢٢٧

وَنَسَّ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - الشعراء إلى أن يأخذ بهم إلى طريق اهتدى في شعرهم . الذكر لكثير .

وشرط آخر ينبغي أن يتوافر في الشعراء حتى يكونوا ممن يسير على الجادة ، وذلك هو ما عبر الله تعالى عنه بقوله :

﴿وَاتَّقُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾^(١) .

وهذا الشرط يمكن الحديث فيه كثيراً .

يمكن أن يقال : إن بعض الشعراء أرباب أقلام وليسوا أرباب سيوف ، إن الحرأة تنقصهم ، والإقدام ليس حليفاً لهم ، فشاء الله تعالى أن ينبههم إلى أن المؤمن الصادق شجاع مقدم ، وكما يستعمل لسانه في قول الحكمة ، فإنه يسفى أن يستعمله في الانتصار للحق ، وفي رد لظلم ، وفي الوقوف في وجه الباطل . ولا بد ليكون الشاعر شاعراً إسلامياً من أن يتوفر فيه

* الإيمان .

* العمل الصالح .

* الذكر الكثير .

* الوقوف في وجه الظلم .

وتنتهى هذه الآيات من سورة الشعراء بقوله تعالى :

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)

وهي كلمة أبلغ وأوضح من كل تفسير

(١ ، ٢) سورة الشعراء ٢٢٧

ونعود الآن إلى الموضوع من جديد سري ما روى فيه من
أثر، وما قاله أسلافنا من مفسرين ومن فقهاء في الموضوع

يقول الإمام لشافعي رحمه الله :

« الشعر نوع من الكلام ، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الكلام ، وَقَبِيحُهُ
كَقَبِيحِ الكلام » .

ويقول « أبو عمرو » - فيما رواه لقرطبي - .

« ولا يكر الحسن من الشعر أحدٌ من أهل العلم ولا من أولى
الأنبياء ، وليس أحد من كبار الصحابة ، وأهل العلم ، وموضع
القدوة ، إلا وقد قال الشعر ، أو تمثَّل به ، أو سمعه ، فَرَضِيَهُ : ما
كان حكمة أو مباحاً ، ولم يكن فيه فُحْشٌ ولا خِناء ، ولا لمسلم
أذى ، فإذا كان كذلك فهو والمشور من القول سواء ، لا يحلُّ
سماعه ولا قوله » .

وروى « أبو هريرة » رضي الله عنه قال .

سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول :

« أَصْدَقُ كَلِمَةٍ - أو أَشْعَرُ كَلِمَةٍ - قَالَهَا الْعَرَبُ قَوْلُ لَبِيدٍ :
الْأَكْلُ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ » .

أحرقه مسلم ، وزاد : « وكاد أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ » .

وروى عن « ابن سبيرين » أنه أنشد شعراً ، فقال له بعض
حلسائه : مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر ؟

فقال : «وَلَيْسَ بِكَ» . وهن الشعر إلا كلام لا بحالف سائر
الكلام إلا في القوافي . فحسه حسن وقبحه قبيح »

ويروى الإمام «مسلم» من حديث «عمر بن الشريد» ، عن
أبيه قال : ردف رسول الله ﷺ يوماً فقال :

« هَلْ مَعَكَ مِنْ شَعْرِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ؟ »

قلت : نعم . قال : «هي» . فأشدته بيتاً ، فقال : «هي» حتى
أنشدته مائة بيت .

ومى عَقَّبَ به صاحب «جامع لأحكام القرآن» على ذلك
قوله :

« وفي هذا دليل على حمض الأشعار والاعتداء بها إذا تصمت
الحكم ، والمعنى المستحسنة ، شرعاً وطبعاً ، وإنما استكثر لى
ﷺ من شعر «أميئة» لأنه كان حكيماً ، ألا ترى قوله . عليه
الصلاة والسلام . :

« وكاد أميئة بن أبي الصلت أن يُسَلِّمَ » . فأما ما تصمّن ذكر
لله وحده والثناء عليه فذلك مدحوب إليه .

وكانت هناك مواقف محددة لبعض الخلفاء من الشعراء الذين
يقولون هجراً ، من ذلك موقف عمر بن عبد العزيز ﷺ . كما ذكر
الزبير بن بكار . إذ قال : حدثني مصعب بن عثمان أن «عمر بن
عبد العزيز» . ما ولى الخلافة . لم يكن له همٌّ إلا «عمر بن أبي

رسعة» و «الأحوص» الشاعران فكتب إلى عامله على المدينة : إنى
قد عرفت عمر والأحوص بالشر واخبت فإذا أنك كتابى هذا
وشدد عبيهما ، واحمهم إلى . فلما أراه الكتاب حملهما إليه ،
وأقس على عمر ، فقال : «هيه . . .» .

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَلَّيَالَى أَحَحٍّ أَفْلَتَنَ ذَا هَوَى
وَكَمْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ اجْمَرَةِ الْبَيْضِ كَالْدَمَى
أما - والده - لو اهتممت بححك لم تنصر إلى شيء غيرك ، فإذا
لم يعلت الناس منك في هذه الأيام فمتى تعلتون ؟ ثم أمر بفيه .
فقال . يا أمير المؤمنين ، أو خير من ذلك ؟
فقال . ما هو ؟

قال : أعاهد الله أنى لا أعود إلى مثل هذا الشعر ، ولا أذكر
الساء في شعر أبداً ، وأجدد توبة
فقال . أو تفعل ؟
قال : نعم .

فعهد الله على توبته ، وخلاؤه ، ثم دعا لأحوص . فقال :
«هيه . . .» .

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمِهَا يَقِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ
بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر سميه ، فكلّمه فيه رجال من
الأنصار ، فأبى وقال :

«والله لا أردّه ما كان لى سطره ؛ فإنه فاسق محاهر»

فهذا حكم الشعر المدموم وحكم صاحبه ؛ فلا يحسن سماعه ولا إنشاده في مسجد ولا غيره ؛ كمثور الكلام القبيح وبحوه .

وروى إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« حَسَنُ الشَّعْرِ كَحَسَنِ الْكَلَامِ ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ » . رواه إسماعيل عن عبد الله الشامي ، وحديثه عن أهل الشام صحيح ، فيما قال « يحيى بن معين » وغيره .

وروى « عبد الله بن عمرو بن العاص » - قال - : قال رسول الله ﷺ :

« الشَّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ : حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ » .

وبعد . . .

فإن الآيات القرآنية للكرامة - من سورة يس ، ومن سورة الشعراء - تحدد تحديداً دقيقاً موقف الإسلام من الشعر ، وما ذكرناه من حديث شريف ، أو قول لبعض أسلافنا ، أو موقف للإمام ابو روع الخليفة عمر بن عبد العزيز ، إنما هو إيضاح لما ورد في القرآن مُحْزَناً وَمُعْجِزاً .

* * *

٢. رأينا موقف الإسلام

من الأدب شعراً، فهل يختلف عن ذلك موقفه من الأدب نثراً؟

والواقع أن لإحابة عن هذا السؤال قد تضمنتها حديثنا عن الشعر، وتصمنتها كلمات من كلام سيد المرسلين ﷺ، وتصمنتها كلمة الإمام الشافعي رحمه الله .
« حَسَنُهُ حَسَنٌ ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ » .

وإذا كان هذا مطلقاً بدهياً ، فإن رأياً من الآراء نشأ في عصور اليونان القديمة وأخذ يتخطى القرون قرناً فقرناً . يخمت أحياناً ويستعلن أخرى ، حتى وصل إلى عصرنا الحاضر ؛ فأخذ يستعلن كراى ، وأخذ يستعلن كتصيق ، ذلك هو قولهم .
« الأدب للأدب » ..

ويعنون بذلك : أن لأديب يحب ألا تقيدته حدود من تقاليد أو عُرْف أو دين أو خلق أو قصيدة أو قومية ، وأنه يحب أن يسير في كتابته حراً طليقاً من كل تحديد .

هذه البدعة شأت في الجو اليونانى القديم ، وهو جوٌ تخلَّى فيه لأدباء عن لدين وشأت في بيئة سادها جوٌ اسوفسطائين ، إنها شأت في مجتمع كان فيه أبيقور ، وكانت مظاهر الوثنية تحت بصر الإنسان ، وأحاديثها تملأ سمعه .

مجتمع الهته الوثنية : شهوانيون ، مرتشون . . لا يعرفون
عدلة ، ولا إنصافاً ، وإنما يحسون من يقدم لهم القرائن ،
ويحدلون من لم يتخذ عندهم يد من الهدايا والأصاحي .

وفي هذا المجتمع اليوناني القديم كانت كل بدعة تجد لها
أنصاراً ، وكل ضلال يجد له من يتبعونه
وسادت بدعة « الأدب للأدب » . .

وكتب لأدباء الأدب المكشوف ، الأدب الجسسي ، أدب الإثارة
أدب الشهوة ، الأدب لدى يستثير لغرائر ، ويحرص على خفيه
الزوجة ، ويدعو إلى التحلل .

وهذا الأدب يروج عند المراهقين ، وعند الشباب في بواكير
عهدهم بالشباب ، وعند الفتيات لمراهقات ، ومن هن في بواكير
العهد بالشباب .

ومن وراء رواج « هذا النوع المسف من الأدب » ثراء لمن
يكتسبون ؛ فلم يتورعوا عن الاندفاع في الكتابة بما يرصى شياطين
للإنس والجن ؛ من أجل المال

وفي عصر الحاضر ، وفي بيتنا المصرية طائفة من كتّاب من
هذا النوع ، يلعنهم الله ورسوله ويلعنهم كل من يتعشق الفصيلة ،
وكل مؤمن صادق الإيمان

والأدب في أوصاعه المستقيمة إلى هو لإصلاح المجتمع والسير
به في طريق الكمال خطوة بخطوة ، وإن كن من يصع لسته في

صرّح الفضيلة وإنما يصع لُئنة في صرح الكمال ، وإن كل من يضع
لُبنة في صرح الرذيلة فإنما يضع لبنة في صرح النقص .

وإن لأدباء الذين يجرون وراء الاستشارة الحسية والأدب
المكشوف : خائنون للوصن ، ويعيشون في مَقْت الله ؛ لأنهم
مفسدون .

ومع تسيتها إلى فساد هذه لدعة فإن ذلك لا يحجب مفسد
أخرى ؛ وذلك أنه أحياناً يتطوع الكابيون بأقلامهم لتأييد فكرة
يحررون فيها صاحب السلطان ، وهذا يحدث هه وههناك ، إنه
يحدث في الشرق والعرب كما يجرى الأمر مثلاً في روسيا ، وفي
بلاد « الكتلة الشرقية » التي يُصرب على أهلها ستار حديدى ،
ويقعون تحت حكم مسطر لا يستطيعون الانفكاك عنه .

إن أدباء هذا السجر الكبير الذى يصم أقطاراً أكملها . رجالاً
ونساء ، وشُباناً وشابات ، وأطعماً وشيوخاً ، إن أدباء هذا
السحر يكتبون مؤيدين نظم السحر محدّين له إبهم
منافهون .

وفي فترة من العترة الماضية طر بعض المسافقين عدداً أهم
يرصون احكام إذا كبوا مؤيدين لشيوعية ، فأحدوا بطوعون
الدين لهذه الفكرة بكن وسية من الوسائل ، من ذلك مثلاً .
تمثيلية عن أبى ذر

لقد كنْ بُودر عليه السلام صحبياً حليلاً يتعاضى في حب الله ورسوله عليه السلام ، وكان زاهداً في حطام الدنيا ، ورأى رسول الله عليه السلام يقتنى لإبل ويتخذ لها اربعيا ، ورأى أبا بكر يتجرجر ويربح ويكون من لأثرياء ، ويرى الكثير من الصحابة يأخذون المال بحله وينفقوه في سبيل الله ، ولكنه رأى بعض الناس - وهذا أمر عدى في كل عصر - يتجه إلى الدنيا ويؤليها الكثير من وقته ، فأخذ يبشّر بالزهد : الزهد الدينى ، زهد المتجردين .

وكان في عهده ذو النورين المشتر باجئة ، الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، من أغنى الأعياء ، وكان عنه سبأ في أن جهز جيش العسرة ، وأن الرسول عليه السلام قال - حينما ألقى عثمان في حجره ما لا كثيراً من الذهب والمضة - :

« اللهم أرض عن عثمان ، فإني عنه راضٍ » ، وأخذ يجول بيده الشريفة في الذهب ويقول

« ما على عثمان ما فعل بعد اليوم » .

وسر رسول الله عليه السلام عبد الرحمن بن عوف بالحنة ، وكانت ملايين عبد الرحمن بن عوف ثقت سائس ، وتشبع الجائع ، ويصل بها رحمة ، ويعين بها عني نوائب الحق .

ودعانا القائمون على «التليفريون» لرؤية «التمثيلية» التي تتعق بأبى ذر ، ودهبا لمشهدتها مع بعض العلماء ، وبعض المؤرخين . . .

فإذا بنا أمام تريف للتاريخ ، وتَجَرُّ على المُصَلِّاء الشرفاء من
الصحة الأثرياء ، وتفاق للحاكم بدون ورع ، وبدون صدق ،
وذلك من أجل التفاق للحاكم ، ومن أجل حكام الدنيا .

لقد نزلوا بمكانة كثير من الصحابة ، راعمين - بالإشارة ، أو
بالتلميح - أنهم من الإقطعيين ، وهكدا ريعوا التريب ولم يراعوا
الحق ، من أجل شهوة غلّانة ، هي شهوة المنصب أو المال .

يجب - إذن - أن يتحلّى الكاتون عر الجرى وراء الساطن فى
سبيل المنفعة الشخصية ، ويجب على الحاكم ألا يشجعوا
موكب التفاق التى تتوالى فى كل الأزيمة مُحَسَّنة للحاكم هواه ،
مؤثرة هواه على رضا الله تعالى حتى ولو خالف أمر الله .

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُزْمِنِينَ تُوَكِّهِ مَا تَوَكَّلْهُ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ رَسَاءً أَمْصِرًا﴾^(١) .

* * *

(١) سورة النساء - ١١٥

٣. ونحب الآن - بتوفيق الله تعالى - أن نتحدث
عن زاوية من زوايا الفن طال فيها النقاش
في العصر الحاضر وطال فيها النقاش في
الماضي، ألا وهي التصوير، سواء أكان رقماً
في ثوب أم نقشاً على الجدار، وسواء أكان
رسماً على ورق أم تماثيل مجسدة

إن كل ما يحدث من ذلك - مُحلاً بالآداب، مشيراً للشهوة،
مافياً للفضيلة - فهو حرام حرمة لا شك فيها، وذلك مثل
الأجسام العارية، والصور الخليعة.

وقد اتُلياً في هذه الأيام بالكثير من ذلك، بل أصبحت
الإعلانات عن «الكباريات» عن طريق الصور العارية تُشر
في الصحف اليومية وغيرها، ولا تتورع صحيفة عن نشر هذه
الإعلانات، ولا تكذب بوجد صحيفة إلا وهي تنهالك على نشر
ذلك طلباً للمال

وما من شك في أن كل ما نُؤدّي في ذلك فهو سُحتٌ مُتَمَتع
عنه النفس الأبيّة والأخلاق الفاضلة، وأكثر من ذلك فإنه
توجد محلات مخصصة في نشر الصور العارية المثيرة، وتُمر
هذه المحلات على أرقابها ولا تعيرها هتمة، وتصريح بها،
وتصريح من أبدي الشدة الوطنية لجمعيات، وطائفتها

ويكثر الفساد في المجتمع نتيجة لهذا السوء الذي أصبح مألوفاً، وكأن الله تعالى لم يُحرّمهُ، وكأن المجتمع لا دين له و يعود فنقول: إن كل ذلك حرام، وفاعلوه ومُبيحو شره في المجتمع معونون في عُرف الفصيلة، ومن قبل الله سبحانه وتعالى

وبوع احرام حرام - لا شك في حرمة - وهو هذه الأصنام التي أحدث منذ فترة تنتشر شيئاً فشيئاً في العالم الإسلامي، إنها الأصنام التي يقيمونها بها وهذا، تحليداً لذكرى شخص، أو رمزاً لفكرة معينة، أو تعبيراً عن القوة أو احتمال . يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾ .

ويقول تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢)﴾

ويقول سبحانه .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)﴾

ويقول تعالى .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جَذَاذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٢)﴾

وحينما دخل رسول الله ﷺ مكة أخذ يحطم الأصنام، دون استثناء، وهو يقول

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٣)﴾

والتحريم فيما يتعلق بهذه الأصنام يقين، لا شك فيه.

(٢) سورة الأنبياء ٥١ - ٥٨

(١) سورة إبراهيم ٣٥ - ٣٦

(٣) سورة الإسراء ٨١

وما يذكر في هذا الصدد ما ذكره اقران الكريم عن بني إسرائيل مُبَيَّناً أن فكرتهم عن الإله سبحانه لم تكن فكرة مستتيرة وإنما كانت فكرة صالحة ، وقد صورها القرآن في صورتين ، أبرع ما يكون التصوير الساخر الموحه المرشد المعلم .

إحدهما هذه الصورة :

لقد أنعم الله على بني إسرائيل بنعمة السجادة ، وما إن تمت النجاة حتى ، أو قوماً يعكفون على أصنام لهم ، وعن ذلك يقول الله تعالى .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٦٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٧٠) ﴾^(١)

ويقول سبحانه

﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

(١) سورة الاعراف ٢٨٠ - ١٤٠ . (٢) سورة الشعراء : ٦٩ - ٧٧ .

أما الصورة الثانية فهي :

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ
يُرَوُّ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)
وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا
وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ
أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقُرْمِ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
(١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾^(١)

وقد يقول قائل :

إن علة تحريم الأصنام في الإسلام أنها كانت تُعبد من دون
الله . ولكن هذه العلة زالت في لعصر الحاضر ، فلا يتأتى أن
يصنع الإنسان صنماً ويعبده في عهد هذه الحضارة التي عمّت
الشرق والغرب ؟

ونحب - إحابة عن ذلك - أن نقول :

(١) سورة الأعراف . ١٤٨ - ١٥٢

إن الإسلام حرّم ذلك تحريماً مطلقاً لا يقيد به زمن ولا مكان .
وإن حكمة الله فوق كل حكمة ، والمبادئ التي أوحاها سبحانه لا
تنقصها أهواء البشر ، ثم إنه في هذه الحصاراة التي عمّت الشرق
والعرب ما رالت لبقر تُعبد أو تُقدّس ، وما رالت تُثير المعارك
وتُسيل دماء بني البشر ، دماء أهل وطن واحد .

وفي هذه الحصاراة الحديثة ما رالت الأصنام تُعبد أو تُقدّس ،
في معابد لا تُحصى ، من معابد الشرق الأقصى .

وفي هذه الحصاراة الحديثة ما زلت بعض الأديان في أكبر
الدول تحتفظ بطابع اللامعقول ، طابع يتمير بأنه صد العقل
والمطلق والتفكير السليم ، ويتعلغل هذا الصنيع في كثير من
زواياها ، ولكن الإللف ، والرمن ، والتكرار ، والتعود . كن
ذلك جعل منها أدياناً تستمر في الماصى ، وما رالت مستمرة في
الحاضر ، مع أنها خرافات وأساطير .

وقد أعلن كبار مؤرخي الأديان عن الأساطير فيها والخرافة ،
ومع ذلك ما زالت مستمرة .

وأمرُ الإنسان في الحاضر أو في الماصى - غريب :

إن الإللف يعرس في شعوره أب المألوف صحيح ، وأن ما عليه
الآباء والأجداد - من عقائد - حق . إنه يفعل ذلك دون تأمل أو
فحص ، بل إنه يهر ويهر من التأمل والفحص إذا أداه ذلك إلى

إككار المألوف من العقائد، ويُسَكِتُ في نفسه - بالقهر - صوت
الإنكار أو النقد .

وبقيت أساطير ، واستمرت حرافات ، وودم ضلالٌ دهوراً :
إنّا وحدنا آباءنا . . .

ونخلص - من كل ذلك - إلى القول بأمرين ، هما من البهادة
ممكان .

١- إن كل ما يتنافى مع الدين في التصوير مُحَرَّمٌ .

٢- إن الأصنام - على أيّ وضعٍ كانت : تمثيلاً لشخص ، أو
تمثيلاً لفكرة - محرّمة .

بقى بعد ذلك أهم جانب - من الوجهة العلمية البحتة - نحب أن
نتحدث عنه ، وذلك هو موضوع لتصوير العادي الذي يُستعمل
الآن في شئون عام ، هذه لصور التي تُستخدم في البطاقات
الشخصية ، وفي جوارات السفر ، والصور الخاصة بالذكريات ،
وصور الأساء للآباء ، أو صور الآباء للأبناء . . .

* * *

٤. موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية، وفى جوازات السفر، والصور الخاصة بالذكريات

انهييا فيما كتباه سابقاً عن «موقف الإسلام من الفن» من
الحديث عن الأدب شعراً ونثراً.

وانتهينا من تحديد موقف الإسلام من الأصنام التى تُقام، ومن
التمثيل التى تُصَب فى الميادين العامة أو فى غيرها

بقى بعد ذلك أهم جانب - من الوجهة العلمية، الـحـتة - بحسب أن
تحدث عنه، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يستعمل
الآن فى شمول عام، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات
الشخصية، وفى جوازات السفر، والصور الخاصة بالذكريات
وصور الأبناء للأباء، أو صور الآباء للأبناء

وإنى أتحدث الآن عن هذا الموضوع وأنا أعلم أنه مشار نراع
حاد، يبدأ شيئاً فشيئاً على توالى الأيام، ولكن هدفه لا يرجع
إلى اقتناع المانعين، بل إلى طعيان اموجة، وقصورهم عن
مقاومتها

وحن لا سطر - فى إعلان رأينا - إلى وضع قائم أو إلى طعيان
الموج أو العوج، أو إلى حاجات فى المجتمع تقتضى التحليل،
وإنما يرجع - فى رأيت - إلى الوثائق، وإلى آراء أسلافنا، وقد

اختلفوا هم الآخرون اختلافاً كثيراً محلّدين أو محرّمين ، ونحن
نبدأ بحديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه ، قال :

حدثنا قتيبة : حدثنا الليث عن بكير عن بُسر بن سعيد عن زيد
ابن خالد عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ ، قال .

إن رسول الله ﷺ قال : إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه
صورة . قال بُسر . ثم اشتكى زيد فسعدناه ، فإذا على بابه سترٌ
فيه صورة ، فقلت لعبيد الله الخولاني - ربيب ميمونة زوج
النبي ﷺ - :

ألم يخبرنا زيدٌ عن لصور يوم الأول ؟ ، فقال عبيد الله : ألم
تسمعه حين قال : إلا رقماً هي ثوب ؟ .

وقال ابن وهب : أحرنا عمرو . وهو ابن الحارث . حدثه
بكير ، حدثه بُسر ، حدثه زيد ، حدثه أبو طلحة عن النبي ﷺ .

هذا الحديث الشريف هو الأساس الذي يقوم عليه رأينا .

ويقول الإمام النووي :

« وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل ، وأما
ما لا ظل له فلا بأس باتخاذ مطلقاً »

ثم يعقب الإمام النووي على ذلك بقوله

« وهو مذهب باطل » .

ولكن الإمام بن حجر - صاحب فتح الباري - يعقب على ذلك
قائلاً عن مذهب « بعض السلف » هذا :

المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة عن لقاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه :

« عن ابن عون قال دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته، قرأيت في بيته حَجَلَةً فيها تصوير القُدُس والعَنَقَاء »
فمضى إطلاق كونه مذهباً باطلاً بظن، إذ يحتمل أنه تمسك في ذلك بعموم قوله . « إلا رقماً في ثوب » فيه أعم من أن يكون معلّفاً أو مفروشاً، وكأنه جعل إنكار النبي ﷺ على عائشة تعلق السُّتر المذكور مركباً من كونه مصوراً، ومن كونه ساتراً للجدار، ويؤيده ما ورد في بعض طرقه عند مسلم ، فأخرج من طريق سعيد بن يسار عن ريد بن خالد الجهني قال . « دخلت على عائشة . . . » ، فذكر نحو حديث الباب ، لكن قال : وجذبه حتى هتكه ، وقال :

« إن الله لم يأمرنا أن نكسوَ الحجارة والطين . قال : فقطعنا منه وسادتين » . . الحديث .

فهذا يدل على أنه ﷺ كره سترَ الحذر بالثوب المصور ، فلا يساويه الثوب الممتن ولو كانت فيه صورة ، وكذلك الثوب الذي لا يُستر به الجدار .

والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة ، وكان من أعصل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث التمرقة ، فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها .
ويقول الإمام ابن حجر :

وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق أيوب عن عكرمة ، قال
كانوا يقوون في لتصاوير في اسسط والوسائد التي توطأ دُلُّ لها .
ومن طريق عاصم عن عكرمة قال . كانوا يكرهون ما نُصب
من التماثيل نصباً ، ولا يرون بأساً بما وطئته الأقدام .

ومن طريق ابن سيرين . وسالم بن عبد الله ، وعكرمة بن
خالد ، وسعيد بن حبيب قولهم أنهم قالوا . لا بأس بالصورة إذا
كانت تُوطأ .

ومن طريق عمرو أنه كان يتكى على مرافق فيها تماثيل النطر
والرجال

ويلخص الإمام أبو بكر بن العربي المذاهب في « التصوير » .
فيقول :

حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حُرِّمَ
بالإجماع ، وإن كانت رقماً فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقاً ، على ظاهر قوله في حديث الباب « إلا
رقماً في ثوب » .

الثاني : المنع مطلقاً حتى الرقم .

الثالث : إن كانت الصورة ببقية الهيئة قائمة الشكر حُرِّمَ ، وإن
قُطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز

قال : وهذا هو الأصح .

الرابع : إن كان مما بُمتن جار ، وإن كان معتقاً لم يحُرِّ

ولقد حمل أبو علي الفارسي لفظ «المصورين» في الأحاديث التي تتحدث عن عذابهم على «المُشَبَّه» .

وقال إمام المراد بقوله «المصورون» أي . لدين يعتقدون أن لله صورة . كما يقول .

ويقول أبو محمد الجويني «إن مسح الصورة في الثوب لا يمتنع ، لأنه قد يُلبس» .

وقال البعض . إن التصوير على الأرض . ونحوها . جائز .

وبعد..

فإن الآراء في هذا النوع من الفن لم تُجمع على الحل ولا على التحريم .

وحسب ميل إلى الحل مستندين إلى الحديث الشريف ومتناسقين مع كل الآراء التي ذهبت إلى الحل ، وإنا مطمئنون كل الأصمثنان إلى ما ذهبنا إليه ، على الرغم من أن كثيرين يحالفوننا في لرأي ، وكل مجتهد مخلص مأجور .

ولقد كتبت «مجلة لمسم» - نقلاً عن كتاب «الإسلام والحصارة العربية» للأستاذ محمد كرد علي - ما يلي :

أقر الرسول الكريم - سيدنا محمد ﷺ - انقود التي كان يستخدمها العرب في الجاهلية ، وكنت ترد من الممالك المجاورة ، وهي مصورة .

وَضَرَبَ عَمْرَ الدَّرَاهِمِ نَقْشَ الْكُسْرُوَّةِ وَشَكَّلَهَا
وَضَرَبَ مَعْدُوِيَّةَ دَنَانِيرَ عَلَيْهَا تَمَثَالٌ مُتَمَلِّدٌ سَيْفًا .
وَاسْتَعْمَلَ زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ سِتْرًا فِيهِ صُورٌ .
وَكَانَتِ الْمُنَسُوجَاتُ الْيَمْنِيَّةُ فِيهَا تَصَاوِيرٌ .
وَصُنِعَتِ الصُّورُ فِي دَارِي مَرْوَانَ بْنِ أَحْكَمَ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ .
- وَهَكَذَا لَمْ يُحْرَمْ الْإِسْلَامُ صِنَاعَةَ مَفِيدَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ
وَالْفَنُونِ .



٥- رأى أفلاطون ، وهو رأى يشبهه فى

كثير من جوانبه رأى الإسلامى

لعلّه أصبح واصحاً الآن موقف الإسلام من

١- الفن من زاوية الشعر

٢- الفن من زاوية الشر

٣- الفن من زاوية لتصوير الفوتوغرافى ، والتصوير بالرسم .

٤- الفن من زاوية الأصنام والتمثيل

ولعلّه من المستحسن أن نذكر رأى أفلاطون فى موضوع
الفن ، ونذكر رأى «أفلاطون» بالدات لأنه كان فناً . وأقصد
بذلك أنه كان أديباً ممتازاً فى أسلوبه الرائع الجميل

وكان أديباً ممتازاً فى هذه القصص التى كان يشرها بها وهماك
ويعتر بها عن أدق مسائل الفلسفة فى صورة سرديّة .

لقد كان «أفلاطون» - فى عُرف جميع الذين أرحموا له - أديباً من
الطراز الأول .

وكان فيلسوفاً ، وكثير من مؤرّحيه وضعوه على رأس
الفلسفة ، ويسمونه «أفلاطون الحالد» ، ويسمونه «أفلاطون
الإلهى» ، ويفضّله كثيرون على أرسطو .

إنه فان يُبدى رأيه فى الفن

وهو فيلسوف يرون رأيه في الفن عميران دقيق
ولكنه حين يبدي رأيه في الفن لا يبدية كأديب فقط ، ولا
كميلسوف وحسب ، وإنما يبدية كأديب وفيلسوف ، ويبدية أيضاً
كمُصلح اجتماعي له رأيه في المجتمع المثالي وكيف يتحقق .

ومن أجل كل ذلك كان رأى «أفلاطون» له وريته ، وخصوصاً
لأنه لا يتحدث باعتباره ممثلاً للدين أو عالماً من علمائه . يتحدث
«أفلاطون» عن الجمهورية امثالية ، ويتحدث عن لطبقات التي
تكون منها الجمهورية ، وعمما يسفى أن تكون عليه كن طبقة .

وعند حديثه عن الطبقة العنصرية ، وهي طبقة الحد ، تعرض -
بصورة خاصة ، وبصورة عامة - الى الواجب فيما يتعلق بموضوع
الفن ، وبدأ بالشعر ، وبدأ في حديث عن الشعر بما يجب أن
يسمح به من الشعر .

ومن نحب أن يتسه إليه القارئ في تأمل رأيه في الشاعر اليوناني
«هوميروس» وفي الشاعر اليوناني «هزيور» وفي قصة «الإلياذة»
وفي قصة «الأوديسا» .

ودلك أن من أدبائنا من رفح شأن هؤلاء رفعة لا تكاد نصارعها
رفعة أديب آخر ، وأشاد بالشاعرين والقصصين إشادة بالغة ، في
مقابلة ذلك بذكر رأى مواطنهما «أفلاطون» ، إذ يتحدث عن
ثقافة الحندي .

وكان مما قال في ذلك .

يحب على الدين يتولون ساء المجتمع المنشود أن يميزوا من بين الأحداث أصحاب الاستعداد الحربى فيمصلوهم طائفة مستقلة، ويتعهدوهم بالتربية، وعليهم أن يرثوا لهم رياضة بدنية تشبههم أصحاب أقوياء، وعليهم أن يعدوا موسهم بالآداب والنفوس، فكون التربية واحده للجميع إلى حوالى لثامه عشره، ويكون سهله لدية؛ لأن الإكراه لا يكون لرجال الأحرار.

وتكون فاصلة: تبدأ بالقصص الحديثة الرينة احثة على الخير، وتُستبعد منها قصص (هوميروس، وهزبور) ومن نَحَا نحوهم من الشعراء؛ فإنها مرذوة من حيث المادة، ومن حيث لصورة أما من حيث المادة فقد سَمَّحتْ عقوب اليونان، وأفسدت ضمائرهم بما تروى عن الآلهة والأبطال من أحوال الخصومات وفييح الأفعال، وما لا يمتأ أن يردده من أن الرجل العدل يعمل لخير غيره وشقاء نفسه، وما تصف من هول موت وتفاهة الحياة الأخرى، مما يؤهل العريمة ويُقعد عن الجهاد فى سبيل الوطن

وأما من حيث الصورة؛ فإن امر يقوم بالمحاكاة، ويخلق المحاكاة، والشعر - بألفاظه وأورانه - يحاكي كل شىء . . . القوى الطبيعية، والحيوانات، والشر، ولتزعج الرفيعة، والشهوات الدنيئة، فيبعث فى النفس مثل ما يصف من العواطف والأفعال، وللمحاكاة المتصلة تصوير عادة، فتلقين الحور من القصص العديمة

يُفسد طبيعتها ، فبحسب مع إعجابنا بمحاسن هذا الشعر نتعنه بأنه
مُعَلَّمٌ وَهَمٌ ، ونعتمد إلى صاحبه فنصنع إكليلاً على رأسه ونشبعه
إلى حدود المدينة فننفيه بغير ونحن نترنم بمدححه ، ولا نستقي غير
الشاعر عَفْءَ البان ، سديد الرأي ، هادئ لسوق ، الذي يحاكي
الخير ليس إلا .

ويتنقل « أفلاطون » من الفن الهومري إلى الفن بالإجمال ،
ويتعامل عليه ويتعسف في نقده ، فهو لا يرى الفن شيئاً أول له
فيه في ذاته ، ولكنه يصعه في المرساة الثالثة بعد مثال أو لوحود
أحق ، وبعد صورته المحسوسة المتحققة في الطبيعة ، فإن الفن
يحاكي الوحود لطبيعي ، وهذا الوحود يحاكي الكمال ، فالفن
صورة الصورة وشبح الشبح يصنع لجوار السرير محكياً مثال
لسرير ، ويصور المصور سرير اسجار ؛ فهو ليس حاصلاً على
العلم الحق الذي موصوعه مثال أو الشيء بالذات ، ولا على
الظن الصادق ، وإنما هو جاهل محادع يأخذ على نفسه محركة
الأشياء الطبيعية ، يبرزها مشوهة في غير نسبها الحقيقية ، من
حيث المقدار والشكل .

ولكنه لا يحدع إلا عن بعد ، ولا يحدع إلا إلهاء ، وكذلك
الشاعر ، فإنه لو كان يعلم حقاً ، يتطهر بعلمه ، لكان يعمل بدل
أن يقول ، ولكان يقود الحبوش أو يشرع القوايين ، و « هوميروس »
لم يعمل شيئاً من ذلك ، ولكان يؤثر أن يحيا حياة مجيدة ،

و«هو مبروس» ارتضى لنفسه أن يكون قصاصاً سحياً لمحكمة
ورأوية

فالتن - بالإحمال - أداة إيهام وتحليل ، والشعر دجل ،
كالتصوير ؛ إذا نُزع عنه سحر اللفظ والتوقيع بدا شاحباً فقيراً ،
يستطيع وصف العواطف ، وهى متقلبة متنوعة ، ولا يجد له
موصوعاً فى العقل لثابت لهادئ ، فيُهيح العواطف ، ويشلُّ
العقل ، مثله مثل طاعة يقلد السلطة للأشرار وبصطهد الأحرار ،
فإنه يُوحى بالعطف على أفعال والمعالات رديئة ، ويضعف
إشرافه على اجراء الشهوى من النفس ، فيحرك فيها البكاء نارة ،
واصحك طوراً ، ويدفعنا - ونحن نشهد التمثيل - إلى استحسان
ما نكره فى الحياة الحقيقية ، وإلى التصفيق لما يغضب له فى
الواقع .

و«الترجيديون» لا يرمون لغير إحراز إعجاب الحمهور ،
والحمهور لا يميل إلى الأشخاص الحكماء الرريين ، بل يصب
أشخاصاً شهويين متقلبين تملاً تقساتهم وشهواتهم القصة ، فيلهو
بها ويميل معها إلى كل جانب .

وأما «الكوميديا» فهى رديئة بالدات ، نصحت من إخوان فى
الإسدية ، وتسمى حاجة لمزاح والسحرية .

إذن : فعلى الشارع أن يراقب جميع مظاهر الفن ، وجميع
الفنانين من شعراء ، ومغنيين ، وممثلين ، ومصورين ، وغيرهم ،

فيخلق بيئة كلها جمال سليم رزين ، ويُنشئ مواطنين كاملين
ينوجهون إبي الفضائل عفواً، ويصون نفوسهم من كل خدش ،
إذ ليست العناية من الفن توفير اللذة . بل التهذيب والتطهير.
هذا هو رأى أفلاطون..وهو رأى يشبهه في كثير من جوانبه
الرأى الإسلامى ، بيد أن الرأى الإسلامى يمتاز بالدقة والاعتزان،
والبعد عن جو الأساطير.

* * *

٦. إيضاح حول « الفن للفن »

والفن للحق والفضيلة

السيد الأستاذ الفاضل / رئيس التحرير

. . مجلة آخر ساعة^(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد . . فقد نشرت محبتكم في عددها الماصي مقالاً عن المسرح سست فيه إلى القول بتحريمه .

وأرحو من سيادتكم - حرصاً على توصيح الأمر ، وحتى لا يُسَىء قرائكم الظن - نشر الكلمة التالية . ولكم حريل الشكر .

والواقع أن الموضوع - كما ظهر في محلة «آخر ساعة» - بشير أسئلة كثيرة في نفس القارئ ، تحتاج إلى توضيح وبيان .

و لأمر حيسما تؤخذ هكذا . مُحَمَلة ، مُوحَزة ، مستورة ، وحيسما تؤخذ نتائج ، هي عبارة عن كلمات ، فإنها تؤدي إلى سوء الفهم أكثر مما تعث على حسن التفاهم .

و نحن إذا نظرنا إلى نشأة المسرح في الأمة اليونانية ، وأدكر الأمة اليونانية بالذات ؛ لأن المسرح الحديث ليس إلا امتداداً لمسرح اليونان ؛ فإننا نجد أنه نشأ منفصلاً عن الدين

(١) رد إلى المجته حول كلمات سبب إلى الإمام عبد الحسب محمود بفتح عن - -

ببر الحفل والتحريم

وقد لا يكون في ذلك صرر في نظر كثير من الناس ، ولكن
المسرح حينما يشأ بعيداً عن الدين ، فإن معنى ذلك أنه يشأ نشأه
فنية بحتة ، أي ، أنه يشأ معتمداً على المبدأ السائد الآن ، وهو
« الفن للفن » ، هذا المبدأ هو الذي نحارب به باعتباره دعاء أخلاق ،
وباعتبارنا دعاء مثل أخلاقية ثابتة

نحن - إذن - نحارب مبدأً ثنائياً للمسرح ، ولا نحارب
المسرح ، والمبدأ الذي ندعو إليه ويدعو إليه علماء الدين في كل
مكر ، ويدعو إليه فريق كبير من المفكرين والمصلحين ، على
اختلاف في طفتهم ومههم ، وهو المبدأ الذي كان سائداً في
الحضارة الصينية القديمة مثلاً ، والخصارة الهندية القديمة ،
والخصارة المصرية القديمة ، بما هو « الفن للتصيلة » أو « الفن
للأخلاق » أو « الفن الموجه »

إننا نحارب الفن المنطق ، الفن المتحرر ، الفن المكشوف ،
الفن الإباحي ، الفن اللا ديني .

وأظن أن السيد الفاضل « رئيس التحرير » يوافقني على أن هذا
المسرحي الخالي لا يتسم - في قليل ولا في كثير - بأن الأساس
الذي يقوم عليه إنما هو التصيلة ، ولدين ، وخير ، وأخلاق

ومن هنا تتبين وجهة نظري في الموضوع ، إنه محل اختلاف في
الرأي بين فئتين كبيرتين من المفكرين - أوروبيين ، وشرقيين - وبين
روحين مختلفين لأنوعين من الخصارات الكبرى ، وبين نزعتين
مختلفتين في تصور الحياة وسائل وعبادات

وموضوع الاختلاف هو لسؤال انقدم اخذت . « هن الفن
 للفن ، أم أن الفن للفصيلة ؟ » . . . ولما يصدد شيء أكثر من هذا
 ولست أنا لدى أشرع للحلال واحرام والحلال تين واحرام
 تين ، وكل ما يعرف . في قرارة نفسه . حذ الخيل ، وحذ اخرمه .
 وبعضت يحاول أن يغش نفسه ، وأن يريف ضميره ، وبعضت يعلن
 رأيه واضحا سافرا مهما وجد من السخط أو من السخرية عند من
 يكذبون على أنفسهم ويحذعون ضميرهم ، بل إن السخط نفسه
 والسخرية إنما يعثان الداعية على مصعمة جهده لأبهما المقياس
 الذي يدل على مدى الفساد : قوة وضعفاً .

ومما لا شك فيه أن فكرة « الفن الموجه » لها . الآن . في
 « الجمهورية العربية المتحدة » أنصار كثيرون فإذا دعا داع إلى أن
 الفن يحب أن يعبر عن الاشتراكية ، أو أن الفن يحب أن يتعد عن
 التحنن ، أو أن الفن يحب ألا يتعرض للدين ؛ فإن ذلك معناه أن
 الفن ليس للفن ، وكل ذلك - إذن - إنما هو تأييد جريئ لما ندعو
 إليه .

بقى أن نتساءل : لماذا يتجه الفن إلى التحرر وتسود فيه . رعم
 بداء المصححين . فكرة لتحرر . به كدنت لأن هذا إنما يتمشى
 مع الشهوات والغرائز والرعات حسبه . . . وتنتهي المشكلة .
 مشكلة الفن . لا محالة . إلى السؤال التالي

هل من الواجب أن يحصع الفن لغرائز ، أم من الواجب أن
 نوجهه إلى الفصيلة ؟

لقد ذهبت مرة إلى تسجيل في الإذاعة ، وكان ذلك في شهر رمضان ، ولظرف طارئ غيّر الإذاعة مكان تسجيل الحديث . .

وذهبت إلى مكان التسجيل الجديد ، فإذا به مكان تسجيل التمثيليات وإذا بالمثلات كثيرات . بعضهم يتظنون التمثيل ، وبعضهم يسترحح خارجات من التمثيل . فكان (في شهر رمضان) العري المصاح ، والحسبات التي لا تتسم بالأدب ، وتشدين ، والشراب ، والكلمات التي لا تتسم بالتهذيب ، والمضحكات الخارحة ، وغير ذلك من نواح لا أخلاقية .

إن هذا اللون من سلوك وهذا التصور للحياة وهذا الطامع للأحلاق . هو الذي يحاربه في ابنن ، وفي الأدب ، وفي السينما ، وفي المسرح ، وفي التصوير ، وفي النحت ، وفي كل وضع يظهر فيه . وهو الذي نريد أن نبعد طالب الأهر عنه فإذا ما وجد من يبيحه فيه لا يكذب على الله - وحسب - وإني يكذب على نفسه . .

﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(١)

﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)

وبالله التوفيق .

عميد كلية أصول الدين

عبد الحليم محمود

(١) سورة الرعد ٣٣

(٢) سورة آل عمران ١٠١

٧. سؤال وجواب:

حول الخلط بين المذاهب الفنية والأدبية

وبين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية

الوثيقة الصلة بتصور العقيدة

سؤال : عمدَ بعض اللا ديسين إلى الخلط بين المذاهب الفنية والأدبية ، وبين لمذاهب الاقتصادية والاجتماعية الوثيقة لصلة بتصور العقيدة . ما نعلق فضيلكم على ذلك ؟

الجواب :

« لمذاهب الفنية والأدبية » التي تتعلق بوسيلة التعبير ، وكيفية توصيل المعاني إلى الناس . لا يقيدها الدين إلا من ناحية ما يعبر عنه ، أي أن لدين يهتم بالمعنى المعبر عنه ، وبأن تكون وسيلة التعبير غير مفيدة معنى آخر . وبأن يكون هذا المعنى في إطار الخير . .

ومن المفيد أن نشير إلى قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(١)

أي أن الرسالة لا يمكن أن تصل إلى المرسل إليهم ، إلا إذا كانت بلغة يعرفونها ، وبلسان يفهمونه .

وقد أوجب الإسلام تعتم لغات الناس لتوصيل لدعوة إلى غير العرب إطلاقاً من قعدة « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

(١) سورة إبراهيم ٤

وانطلاقاً من هذه القاعدة ، تنوعت أساليب القرآن من
محاورات عقبية إلى أمثال حسية ، إلى قصص أدبية ، ليتسع
محل فهمه لكل العقول ، وشتى اللغات ، وهو سر من أسرار
الإعجاز فيه . إن كل إنسان - مهما كانت درجة ثقافته - يفيد منه ،
ولا يمكن أن يرتفع إنسان - مهما علت ثقافته - عن مستوى التعبير
القرآني الكريم

وفي السنة الشريفة . تنوعت أساليب الرسول ﷺ ما بين
استمهام لتبسيط الأذهان إلى ما يلتقي من علوم ، ونوحية مباشر ،
وسؤال لاستخراج المعلومات من الناس ، ثم تصحيح هذه
المعلومات ، إلى غير ذلك مما يجده الباحثون

مذاهب لتعبير - إذن - مذاهب إنسانية تختلف باختلاف أحوال
الناس ونظمهم ودرجة ثقافتهم ، والإسلام لا يقيدها - كما قلنا -
إلا من ناحية ما تعبر عنه ، ومن ناحية الألفاظ المستخدمة في
التعبير

أي أن الإسلام لا يسمح الخروج على آدابه - ولو في الملمظة
المستعملة في التعبير - ويترك للمسلم بعد ذلك أن يعبر عن فكرته
بأسلوب الذي يريد ، دونه أن يقيد بمذهب ما . فلم يأت
الإسلام بمذهب للتعبير لا يرصى غيره وهكذا .

هذا عن « المذاهب الفنية والأدبية » . .

أما « المذاهب الاقتصادية والاجتماعية » فقد رسم الإسلام
إطار التحرك في مجدها من سنن تكليف ، وقرره من قواعد

فأسلوب التصرف في المال مقيد في الإسلام مراعاة أن يكون مصدره من حلال، وأن يُدفع حق الله منه وهو الزكاة، وأن لا يهرط الإنسان في حق لارم عليه كاللقمة على أهل بيته، وصلة رحمه، وهكذا . . .

أما كيفية لعمل فقد ترك الإسلام للناس طريق التطور في استخراج خيرات الأرض عن طريق الصناعة بصرفها المخفضة أو ازراعته أو التخصيص في محال من المجالات

و « المذهب الاجتماعي » رسم الإسلام لها طرقاً لا يسغى الخروج عيها، كنظم النكاح والصلاى وسائر ما يتعلق بشؤون الأسرة، وتركيب المجتمع، ومسئولية المسلم عن غيره من المسلمين .

وفيما عدا ذلك ترك الإسلام للمسلم أن ينظر في « نظم » المجتمعات المختلفة، ويؤسس النظريات على أساس من هذا لنظر، ليظهر روعة الإسلام فيما قرره من أحوال المجتمعات، وليتكون له من لبصر بشئون الدني ما يمكّنه من شر تعالىه الإسلام أو تصديقها إن كان ممن يملك وسائل لتطبيق

« المذهب الفكرية والفنية » يد وسائل للتعبير لا يقيد بها الإسلام إلا من حيث ما تعبّر عنه .

و « المذهب الاقتصادية والاجتماعية » إن وافقت الإسلام - أحدها على أنها إسلام أو وضع إلهي، لا على أنها أفكار بشرية، وإن خالفت الإسلام صرنا بها عرض الحائط، إذ المسلم

لا يرى خيراً فيما لا يوافق دينه ، وإلا كان متناقضاً مع نفسه
﴿أَفَقَرَّ دِينُ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَتَكْرَهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (١).

تحريراً في ٢٠ / ٨ / ١٩٧٥ م

عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

* * *

(١) سورة آل عمران ٨٣

الإسلام والعلم

- * دائرة العلم فى الإسلام.
- * العلم الذى يدعو إليه الإسلام.
- * أهداف الرسالة الإسلامية .
- * منزلة العلم فى الإسلام.
- * مكانة العلم فى الإسلام.
- * فصل العلم الدينى .
- * ثمرة البحث على العلم.
- * أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم.
- * المواجه العلمية بين الإسلام والحصارة الحديثة .

١. دائرة العلم في الإسلام

ونقول ابتداءً .

إبنا لا بأحد كلمة « العلم » بالمفهوم الحديث فحسب
والمفهوم الحديث هو لدى تأخذه أورب ، وتأخذه جامعاتنا
المصرية وغيره من الجامعات حيم ستعمل لكلمة
وهذا المفهوم هو :

« العلم هو القواعد النني بُنيت على الملاحظة ، والتجربة ،
والاستقراء » .

وهو بهذا المفهوم يختص بالخاص لدى إن دائرته الكون
السما والارض ، وما بين السماء والارض
أما وراء هذا الكون ، وأما قبل هذا الكون ، وأما ما بعد
هذا كون ، فإن العلم - بالمفهوم الحديث - لا يتعرض له ، وذلك
لأنه لا يدخل تحت دائرة الملاحظة والتجربة والاستقراء
ولعل القارئ يدرك من هذه الكلمات السابقة أن العلم بهذا
المفهوم الأوربي لا يتأتى له أن يحكم على ما ليس في دائرته
ومن أجل ذلك فإن العالم - أن عارم - لا يستطيع إنكار الألوهية
ولا البعث ولا الغيبات على وجه العموم .

والعديم لدى بكر - صفته كعالم - وجود لله ، أو بكر
البعث ، فإنه يكون قد خرج عن صفته كعالم ولا يوصف في

أحواء العلماء إلا بأنه مهرج ، وإنه ليكفى أن ينكر - بصفته كعالم - شيئاً من الغيبيات ليسحب العلماء ثقتهم فيه ، وينبدوه من محيطهم .

وذلك لأنه ما دامت قد حُدِّثت دائرة العلم بأنه ما شئ على الملاحظة والتجربة - أي : ما كان محاله امددة - فإنه إذا تعرّض عالم لما ليس من اختصاصه على أنه علم فإنه يكون بذلك قد حرج على أوصاع العلماء في مفهوم العلم ، وحرج على مدّتهم المترددة في دائرة العلم : وهي المادة .

قلنا إننا لا تأخذ مفهوم العلم بالمعنى الأوربي ، بل سنأخذ مفهوم العلم بالمعنى الإسلامي . ومفهوم العلم بالمعنى الإسلامي أوسع دائرة ؛ إنه المعرفة بكل نافع من الأمور . إنه المعرفة بالكون وما وراء الكون ، بالوجود المادي وبالوجود الروحي ، إنه المعرفة بالآفاق وبالأفئس وهي بطرق ذلك يدخل العلم بالمادة أو العلم بالمفهوم الحديث

وهذا المفهوم الحديث للعلم هو اصطلاح حديث ، فما كنت كلمة لعدم فهم مصي - هي أورب ، وغيرها - تعنى القوايين التي تسير عليها المادة فحسب . وإما كنت الكلمة مطلقة ، فلما كنت النهضة الأوربية الحديثة فُسِّمَت أنواع المعرفة ، بحسب ملكات الإنسان وشعوره ، وذلك لتسهيل التفرقة بين محالات المعرفة ، ولتسهيل الحكم في كل مجال

هناك المحال الذي يسرح فيه « الحسُّ »، ويحتلى معالمة، وهو المادة، وسمي العلماء المحدثون محس الحس «علمًا»، وهناك محس يلعب فيه «الوحدان والدوق» الدور الأول، وسمي العلماء المحدثون هذا المحال «فناً».

وهناك مجال هو من شأن «العقل البحت» وهذا المجال ينقسم إلى قسمين:

(أ) قسم الرياضة، وهو يقين كله.

(ب) قسم الإلهيات، حينما تقوم على العقل وحده.. وقسم الأخلاقيات بمعناها الواسع حينما تنبع عن العقل وحده، وهذا القسم هو «الفلسفة».

أما ما كان مرده إلى البصرة والوحي وصلة الإنسان- النبي أو الرسول- بالله تعالى فإنه «الدين»، وليس الدين قواعد خاصة بالمادة، وإن كان يحدث عنها- عرضًا- أحياناً. وليس الدين من أحل أدواق تتصل بالهن، وإن كان له في ذلك توجيهات أحياناً

وليس مصدر الدين (كمسع ومرجع) العقل، وإن كان ما أتى به يمره العقل كله، ومبادئه لا تتناقض مع العقل

وإذا كنا في مقلنا هذا، نأخذ العلم بالمفهوم العام- كن نافع من المعرفة- فإن به إلى أن كل ما أسس على القرآن ولستة فهو في نطاق المحال الديني، وأن بحثنا هذا إن كان لبيان موقف الإسلام

من لعلم بالمفهوم العام ، ولا يجمع ذلك من أن التفرقة ما زالت قائمة بين مخفف مفاهيم المعرفة

ونعود من جديد ونسأل :

- ما موقف الإسلام من العلم ؟

إن الله سبحانه قد رسم مهمة لرسوله ﷺ في قوله تعالى

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (١)

بها اعلم واخْلُو العلم إلى غاية هي « الحكمة » . واخلق إلى غاية هي « التزكية »

وهذه المهمة الكريمة تدور في وضح في الكلمات الأولى بلوحي لإلهي . . . إن الوحي بدأ بقوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٢)

وور كلمة في وحي هي « اقْرَأ » وتكرر كلمة « اقْرَأ » في هذه الآيات الأولى من الوحي وتكرر مادة « العلم » ، ويذكر فب لقل ، أداة من أدوات التعليم

ثم كان أن « نفسه » فسم الله سبحانه وتعالى . في المرات لكره ، ان هو فسم بالقلم وما يسطر ، بقلم ، بقول تعالى

﴿ تَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٣)

وتتوالى لايات كريمة حائلة على العلم، امرأة به، مهيئة داه
 وشروط السرع فيه، مشددة بالعلماء، مسة مكنتهم
 أم هذه المكانة التي وضع الله العلماء فيها فإب أسمى مكة
 عبد الله سبحانه وتعالى لعباده.

إن الله سبحانه وتعالى تكلم بالعلماء:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ الْأَشْهَادُ ۝ وَأُولُوا الْإِيمَانِ فَإِنَّمَا
 بِالْقِسْطِ ۝﴾ (١).

وفي هذه الآية الكريمة قرن الله سبحانه وتعالى العلماء به
 وبملائكته في شهادة التوحيد، أي وصغهم في أسمى مكانة
 إيمانية، وذلك أن أسمى مكانة إيمانية إنما هي «شهادة التوحيد»
 إنها:

«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ثم اخذ على العلم في القرآن الكريم من هذا الكتاب تعبير
 بين أن الإنسان حتى في الحالة التي يمنحه الله فيها السؤة والرسالة
 لا يزال بحاجة إلى المزيد من العلم.

إن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يأمر الرسول ﷺ
 أن يجعل من شعاراته «الاستردة في العلم»، فيقول له
 ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران ١٨

(٢) سورة طه ١١٤

وأعلن رسول الله ﷺ أن لطريق إبي العلم هو طريق إلى
الجنة . . يقول صلوات الله وسلامه عليه في ذلك .

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى
الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ ؛ رِضًا بِمَا
يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ .. حَتَّى الْحَيَّاتِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ
كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ،
وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ،
فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ وَأَفَرِ »

* * *

٢. العلم الذي يدعو إليه الإسلام

إن العلم - الذي يدعو إليه لإسلام - هو العلم بالطبيعة ،
والأحياء ، والكيمياء ، والطب ، وغير ذلك من العلوم المادية ،
وهو بالضرورة أيضاً علم الدين من تفسير وحديث وفقه . .

وإن الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

إنما وردت في معرض الحديث عن الكونيات المادية

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢)

وما من شك في أنه بمقدار تعمق الإنسان في احاطب العمی
على أساس من الإيمان ، ومی صدق وإحلاص ، تكون خشيته
لله . .

ذلك أنه يرى من نواميس الكون ، ومن الإتقان في الخلق ،
ومن الحكمة في التدبير ، ما يجعله سجد لمبدع الكون ومنسقه .

وإن هؤلاء الذين يتصلون - مثلاً - بعلم التشريح من قرب ، أو
يتخصصون فيه ، يرون من الإحكام المحكم ، ومن الدقة الدقيقة
في مختلف الأجهزة الحسية ، وفي مفردات هذه الأجهزة ، ما
يضطربهم اضطراباً إلى لسجود لرب هذا التنسيق ، واسترتيب ،
والإبداع .

(١) سورة طه . ٢٨ .

(٢) سورة فصلت ٥٣

وليس علم التشريح - وحده - هو الذى يهز العالم المتبحر فيه .
 وإنما يهز علم الملك العالم الضكى . إنه يرى هذه السحوم -
 التى لا تكاد تعد - تسير فى هذه لسعة الكويبة الهائلة فى ترتيب
 وتناسق وإحكام :

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي
 فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (١) .

وعالم الأحياء وهو يتأمل عوالمه ، ويفجأ - كل يوم - بحديد
 وغريب وبديع فيها
 إن هؤلاء حميعاً وغيرهم يحدون أنفسهم . لا محالة - أمام
 صنع الله الذى أنقر كل شىء صنعاً . فيقولون مع « القرآن
 الكريم » :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْغَفُورُ﴾ (٣) الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من
 تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٤) ثم ارجع البصر كرتين
 ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير (٥)

وصدق الله إذ يقول :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٦)

(٢) سورة البقرة

(٤) سورة الطور ٢٨

(١) سورة البقرة ٤

(٣) سورة البقرة ٢ ٤

فقد أحدث الإسلام في الدين - بموقفه هذا من العلم - نهضة علمية ، كان من ثمارها إحصاءه الإسلامية التي كانت تسمى «السحت في الطبيعة وفي الكون» هذه التسمية الحميلة «العلم يستن الله الكونية» .

فعلم الطبيعة - في لصوره الإسلامية - هو العلم بسس الله الكونية

وقد يتساءل إنسان عم إذا كان الإسلام أطلق العلم إطلاقاً أم قيده بقيود ؟

إن ﴿اقرأ﴾^(١) ، التي افتتح الله سبحانه بها وحيه الكريم قيدها منذ لمبدأ مباشرة بأن تكون : ﴿باسم ربك﴾^(٢)

والعلم في الإسلام ، هذا العلم بالدين وعباده ، لا يقيده في الإسلام إلا أن يكون في اتجاه رباني .

إن الإسلام يوجب أن تكون «أسس العلم» متسمة بالخير ، ويوجب أن تكون «غاياته» معتمدة في الخير ، ويحفل من العلم قُربى إلى الله ، ويحفل منه عبادة لله ، إنه سبحانه يجعله باسمه لكريم .

ومن الملاحظات الدقيقة في هذه الكميات التي كانت في افتتاح الوحي أن الله - سبحانه - لم يقل اقرأ باسم الله ، وإنما

(١) (٢) سورة العنق ١

قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (١) أى : ﴿ اقْرَأْ ﴾ (٢) باسم الربِّى أى :
﴿ اقْرَأْ ﴾ (٣) فى إطار لتربية الإلهية .

ومعد اللحظات الأولى فى « الإسلام » اتسم العلم بالخير ،
واستهدف الخير ، لم يستهدف العلم الإسلامى فى يوم من الأيام
التنكيل بالإنسانية ، أو الاستعلاء ، أو التنسابق من أجل إيجاد
وسائل التدمير والتخريب ، كلاً . وإما هو باسم الربِّى ، وكان
للعلم الإسلامى من أجل ذلك ضرورة وليس ترفاً

وقد يتساءل إسان أيضاً عما إذا كانت هذه النهضة العلمية التى
ذوت فى أرجاء العالم - مطلقاً من القرآن الكريم والأحاديث
النبوية الشريفة - لها أثر فى النهضة الأوربية ؟

وعن ذلك نترك العالم الإنجليزى الكبير الأستاذ (بريصوت)
صاحب كتاب (بناء الإنسانية) يتحدث ، وهو عالم مُصنف ،
أنصف الحضارة الإسلامية ، بعد أن ظلمها الغربيون قروناً
متعددة . . إنه يقول .

« إن روجر بيكون درس اللغة العربية ، والعلم العربى -
فى مدرسة أكسفورد - على خلفاء معلّميه العرب فى الأندلس -
وليس لروجر بيكون - ولا لسميّه الذى جاء بعده - الحق فى
أن أنسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن
(روجر بيكون) إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين

(١ - ٣) سورة العنق ١

إلى أوروبا المسيحية وهو لم يملّ - قَطُّ - من التصريح بأن تعلّم معاصريه اللغة العربية ، وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقّة.

والمناقشات التي دارت حول (واضعي المنهج التجريبي) هي طرف من (التحريف الهائل) لأصول الحضارة الأوروبية.

وقد كان منهج العرب التجريبي في عصره يكون قد انتشر انتشاراً واسعاً، وانكبّ الناس - في لهفٍ - على تحصيله في ربوع أورب * .

ويقول * لقد كان (العلم) أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة الصبح. إن العبقرية التي ولّدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض - في عذفوانها - إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سُحب الظلام ولم يكن العلم العربي وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة لأوربية *

ويقول « فإنه على الرغم من أنه لبس ثمة نحية واحدة من سواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قطعية ، فإن هذه المؤثرات توجد - أوضح ما تكون - في نشأة (الطاقة) التي تكوّن ما للعالم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره -

أى : فى العلوم الطبيعية ، وفى روح اببحث العلمى .

ويقول « إن ما يدسن به علمنا (لعلم العرب) لبس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لتظريات مبتكرة . بل يدين هذا العلم للثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده نفسه ، قالعالم القديم - كما رأينا - لم يكن للعلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت عموماً أجنبية استجلبوه من خارج بلادهم وأخذوها عن سواهم، ولم تنأقلم فى يوم من الأيام فتمتزج امتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية.

وقد نظم أهل اليونان المذاهب ، وعمّموا الأحكام ، ووضعوا النظريات. ولكن اساليب البحث فى دأب وأناة وجمع المعومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المسنمة، والبحث التجريبى ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليونانى، ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العلم القديم إلا فى الإسكندرية فى عهدها الهلّينى.

أما ما ندعوه « العلم » فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ، ولطرق التجربة والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها أهل اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العممية، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبى »

* * *

٣. أهداف الرسالة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ، احمده لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين . وبعد . .

فإن لإسلام حدد هدف الرسالة الإسلامية في عدة آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١)

ويذكر الله - سبحانه وتعالى - تفضله على المؤمنين بإرساله رسولاً من أنفسهم ، ويحدد الله - سبحانه وتعالى - الهدف من الإرسال ، والحكمة منه فيقول

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢)

وفي سورة الجمعة بين الله - سبحانه - أن ما في السموات وما في الأرض ينزهه سبحانه ؛ إذ إنه يسبح له . ويذكر سبحانه من صفاته الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم ثم يقول

(٢) سورة آل عمران ١٦٤

(١) سورة الجمعة ٢

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١)

وهذه الآيات الكريمة ، وما يشبهها من القرآن الكريم ، لا يحتاج إلى تأمل بالغ ، أو تفكير محمّد ، من أجل فهم معانيها ، وذلك أن المعنى في هذه الآيات الكريمة واضح كل الوضوح ، فهي تبيّن أن الحكمة هي إرساله ﷺ تتمش في أمرين :

١- العلم .

٢- التزكية .

العلم - إذن - في رسالة الإسلام : شطرها ، بل هو شطرها الأساسي ، أي : الشطر الذي تقوم عليه التزكية ، إذ لا يتأتى أن تقوم التزكية على الجهل .

نشأ الإسلام حليفاً للعلم .

ولعل مما يبين الأهمية الكبرى التي منحها الإسلام للعلم أن نرجع بنظرة سريعة إلى الملحظت لأولى التي أشرق فيها فجر الرسالة الإسلامية .

روى الإمام البخاري - نصر الله وحبه - بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وروت كتب أسسه كذلك ، حديث بدء الوحي .

وهو حديث طويل ، وفيه أن رسول الله ﷺ ، بينما كان في غار حراء يتعبد ، جاءه الملك ، فقال « اقرأ »

(١) سورة الحمد ٢

قال : ما أنا بقارئ

قال فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني .
فقال : « اقرأ »

قلت : ما أنا بقارئ

فأحدي فغطّني اثنائية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني .
فقال : « اقرأ »

فقلت : ما أنا بقارئ ، فأحدي فغطّني الثالثة ، ثم أرسلني
فقال :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)
و حينما فسّر المرحوم الشيخ محمد عبده هذه الآيات عقب
عليها قائلاً :

« لا يوجد بيان أبرع ، ولا دليل أقطع ، على فضل القراءة
والكتابة والعلم بجميع أنواعه . من افتتح الله كتابه وابتدأه
الوحي بهذه الآيات الباهرات » .

لقد افتتح الله - سبحانه - الوحي في الدين الإسلامي بهذه
الآيات المعجزة الخالدة ، التي تذكر القراءة والكتابة والقلم ،
والتي ترددت فيها مادة العلم أكثر من مرة .

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، برز قوله تعالى :

(١) سورة العلق ٥ - ٦

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١)

وفي هذه المرة الثانية من لوحى بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم ، والكتابة ، فبدأ أول قسم فى القرآن هو القسم بالقلم وما يُسطر بالقلم .

أما اسم الكتاب الموحى به ، فيه . «القرآن» .

يقول الراغب الأصفهاني :

« قال بعض العلماء : سمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لا لكونه جامعاً لثمره كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار - تعالى - إليه بقوله : ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) ،

والقرآن تسميته وبأول آية نزلت منه . وبأول قسم فيه : يوجه لإنسان بطريق مبشر ، وطريق إبحائي ، إلى الاتجاه نحو المعرفة : قراءة وكتابة وعلماً

* * *

(٢) سورة يوسف ١١١

(١) سورة القلم - ١ .

(٣) سورة الحل ٨٩

٤. منزلة العلم في الإسلام

عن طريق القصص

لقد بدأ القرآن حليفاً للعلم ، وأشرق بوره مستشرقاً للعلم ،
وأحد أنفراق - فيما بعد - يوالى حيث على علم : شسى
الأساليب :

فبيّن لنا مثلاً أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق آدم عليه
السلام علّمه لأسماء كلها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (١)

ثم بيّن الله - سبحانه وتعالى - أن دم . بهذه المعرفة ، أصبح
أسمى من الملائكة ، ويقول في ذلك .

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (٢)

﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)

وهم يكن للملائكة علم بها ، فأجابوا في تواضع :

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ﴾ (٤)

وبيّن لهم سبحانه مكنة آدم - بصورة غير مباشرة - حينما قال

﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (٥)

(٤) سورة النور : ٣٢

(١ - ٣) موره لقره ٣١

(٥) سورة النور : ٣٣

صدق آدم بالأمر ، وبين الله سبحانه وتعالى لنتائج حسم
 أنبأهم آدم بأسمائهم ، فقال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
 وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

ومن الأمور التي لها معراها الواضح ، والتي نشير إليها ، ولا
 نتعمق فيها : أن الله سبحانه وتعالى قل بعد ذلك مباشرة :
 ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
 وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

لقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - أمره للملائكة بالسجود لآدم
 بعد أن بين لهم أن آدم أعلم منهم . واستجاب الملائكة للأمر
 فسجدوا

فكأن السياق يوحي بسمو مكانة العلم سموً يصل إلى درجة
 سجد الملائكة له .

وفصه أخرى ثريه بالمعنى والمعنى والحكمة
 إن رسل الله تعالى - صلوات الله وسلامه عليهم - هي الذروة
 من المكانة والفصل ، وفي الذروة من العليم والحكمة ومع
 ذلك فهذا هو ذا موسى - عليه السلام - يحد في لسير هو وفتاه من
 أجل لبحث عن علم أنبأه الله بوحوده ، وبعد جهد وصبر وحده
 . . يقول سبحانه :

(٢) سورة خرو ٢٤

(١) سورة النمر ٣٣

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾
 (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا
 (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنْ
 اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (١)

ويسيران ، ويتعلم موسى رسول الله - عليه السلام - من صاحبه
 ما لم يكر يعلم ، ومما أفاده هذه القصة - كما يقول السيوطي - أن
 يداوم المرء على التعلم ، ويتدبر للمعلم ، ويرعى الأدب في
 المقال .

ويأخذ منها السيوطي :

« استحب الرحلة في طلب العلم ، واستراة العالم من
 العلم ، واتحاد الر دللسفر ، وأنه لا يباي لتوكل ، وسببة
 السيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان محاراً وتأدياً عن
 سبتهما إلى الله تعالى ، وبواضع المتعلم لمن تعلم منه - ولو كان
 دونه في مرتبة - واعتذار المعلم إلى من يريد الأخذ عنه في تعليمه
 ما لا يحتمله طبعه ، وتقديم المشيئة في الأمور ، واشتراط المتووع
 على لتابع ، وأنه يئزم الوفاء للشروط ، وأن السيان غير مؤاخذ
 به » .

وقصة ثالثة نذكرها لننتهي بها من الحديث في العلم عن طريق

(١) سورة الكهف ٦٥ - ٧

القصص نقرأ أي ، وفتحها عدها إلى الأسلوب القرآني المباشر ،
ثم إلى السُّنة السوية الشريفة

هو هود سليمان عليه السلام ، بحسن بين أخصيائه ويتحدث
معهم عن ملكة سد وعن عبادتها لشمس من دوا الله ، وعن رده
لهدية التي أرسلتها إليه ملكة سد تريد بذلك أن بغض الطرف
عنها وعن ريعها وصلاتها ، قائلاً حين ردها

﴿أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ
تَفْرَحُونَ﴾ (١)

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ لِنُؤَايِسَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلِنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدَلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٢)

ثم يلتفت سليمان إلى من حوله قائلاً

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قُلْ أَنْ يَأْتِيَنِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣)

فرد عليه عمر بن الخطاب حين قال

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٤)

وأحاب شخص آخر يصور القرآن إجابته على الوضع التالي :

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ﴾ (٥)

(١-٥) سورة النمل ٣٦ - ٤٠

وَقَدْ أَدَّى عَمْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ مَا قَالُ ، وَحَاءٌ بِالْعَرْشِ هِيَ لِمَح
الْبَصِيرِ .

فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده قال :
﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (١) .

والمراد بعرفنا بهذه القصة أن العلم يفعل الأعاجيب ، وأنه
يفعل ما لا تصعبه الحر . . . وأن مقدرة « العايم » تصل إلى ما لم
تصل إليه مقدرة « عفريت الجس » . . . وأنه بالعلم تُطوى الأرض ،
وتزول المسافات ، وتتحقق المعجزات .

* * *

(١) سورة الحجر ٤

٥- الطريق المباشر لبيان مكانة العلم في الإسلام

والآن نأتى إلى موقف القرآن من العلم عن طريق مباشر،
أى : من خلال الآيات التى تتحدث عن العلم حاثّة عليه مشيدة
به .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

إبه بمقدار تعمق الإنسان فى الجنب العلمى - فى صدق
وإخلاص - تكون خشيته لله تعالى ؛ ذلك أنه يرى من نوااميس
الكون ، ومن الإتقان فى الصنع ، ومن الحكمة فى التدبير ، ما
يجعله ساجداً لمبدعه ومنسّقه .

وإن هؤلاء الذين يتصلون مثلاً بعلم التشريح من قرب أو
يتخصصون فيه ، يروون من الأحكام المحكم - ومن الدقة الدقيقة
فى مخلف الأحهرة الجسمية وفى مفردات هذه الأحهرة ما
يصطرونهم اضطراباً إلى السجود لرب هذا التسيق ، والترتيب ،
والإبداع .

وليس علم التشريح وحده هو الذى يبهر لعالم المتحر فيه ،
وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكى ، ويبهر علم الأحياء عالم

(١) سورة ناطر ٢٨

الأحياء، وهكذا نجد اسهاراً في كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية، أرضها وسماؤها، وما بين الأرض والسماء.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَارُتٍ فَإِرجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (١).

وصدق الله سبحانه إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢)

وحشية لله التي هي ثمرة لعلم أساس من أهم أسس إسلام الوحه لله، ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام . . إنه ضرورة وليس ترفاً، فهو من أسس الإسلام نفسه.

ومن أحل ذلك كد من مقومات شخصية المسلم «العلم» . . العلم بالكون، وبالإنسان، وبالنفس، وبكل ما تتسع له الكلمات من معنى كريم

* إلام تؤدي الحشية ؟

* إلام ينتهي العلماء الصادقون المؤمنون ؟

يقول الله تعالى :

(٢) سورة فاطر ٢٨

(١) سورة الملك ١-٤

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ رَأُوثُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالنُّقُطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١)

إنهم يصلون - عن طريق العلم الذى يثمر خشية - إلى
التوحيد . . .

التوحيد الذى هو سمة الدين الإسلامى - كما يرى لبيروس -
والذى هو فى حقيقة الأمر سمة اتنين الصادق .

ويشهد العلماء « التوحيد » مع الله سبحانه ، ومع الملائكة
الأطهر إن الله سبحانه قرن العلماء به وملائكته فى شهادة
التوحيد ، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء من
مكانة

وشهادة التوحيد التى هى قمة الركس الأول للإسلام ، وهو .

« أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » .

لا يشهد بها إلا العلماء المؤمنون .

وشهادة التوحيد التى هى منتهى ما يمكن أن يصل إليه المسلم
هى محرابه إلى الله سبحانه لا تتحقق إلا فى العلماء المؤمنين

إن شهادة التوحيد هذه قد وحى الله الانظار إليها بأساليب
شتى ، ومن هذه الأساليب ما لا يقدره - فى دفته وروعته الرائعة -
إلا العلماء

(١) سورة - عمران - ١٨

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلِلَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتِ نَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبَيِّنُوا شَجَرَهَا إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

ثم يثبت الله على آيات أنه مهما تبع العلماء عدلهم، فإن المجتهون كثير، وأنه لا يعلم هذا المحجور المعيب إلا الله سبحانه، والعقيب الكريم معه أن العلم لا ينتهي إلى عاينه، وأن كشف المحجور رسالة لا تنهي ما دامت السموات والأرض، فيقول سبحانه

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢)

(٢) سم ٥٩ - ٦٥

(١) سم ٥٩ - ٦٤

ومن أجل شهادة التوحيد، أو من أجل وصول الإنسانية إلى
قصى ما ينتهى إليه - بالنسبة للإنسانية - كل بحسب استطاعته - فى
معارض المقدس، حث الإسلام على العلم ووجه إليه، ووجهه من
أسس الدين نفسه

لقد حث عليه فى صور بلغت من الروعة حدًا لا يُحارى
والآيات والأحاديث التى وحيها الأئمة الإسلامية إلى لعلم
كثيرة مستتبصرة، وإذا كان العلماء يشهدون لتوحيد مع الله ومع
لملائكه، فإن منزلتهم بالمكان السامى، ودرجاتهم سامية، فى
الرفعة والعلو:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (١)

ولهذه الجواب من فصل لعلم والعلماء، أمر لله سبحانه
وتعالى رسوله - وهو قدوة المسلمين وأئمتهم - أن يقول:

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢).

رب زدنى علماً فى كل يوم، بل فى كل حطة، ذلك ما يحب
أن يكون شعار المسلم، وإذا ما ردد المسلم علماً أرداد حشية،
وإذا ما ردد حشية تحقق فيه إسلام ابوجه لله عنى صورة أكمل.

ومن الملاحظات التى يحب أن تكون دائماً فى مذاكرة، أن
الكلمة الأولى التى برأها ابوحى على المصطفى ﷺ، مبشرة
بعهد من سور حديد، هى كلمة « اقرأ »

(٢) سورة طه ١٤

(١) سورة الاحزاب ١

ثم قال رسول الله ﷺ :

«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَاهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١)
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
«إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَرَّ - أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ سَنَكَ مَسْلُكاً فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقَ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ سَلَّطْتُ كَرِيمَتِيهِ أَتَّبَعْتُهُ عَلَيْهِمَا الْجَنَّةُ ، وَفَضَّلْتُ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ فِي عِبَادَةٍ ، وَمَلَكَ الدِّينِ الْوَرَعَ»^(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(٣)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ . رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(٤) .

وعن عون قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

«مَنْهُمَا مَنْ لَا يَشْبَعَانِ : صَاحِبُ الْعِلْمِ ، وَصَاحِبُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزْدَادُ رِضًا لِرَحْمَنِ ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا فَيَتِمَادِي فِي الطَّعْبَانِ » ثم قرأ عبد الله :

(١) رواه ترمذي قال حدثني حماد بن عمار (٢) رواه ترمذي في شعب لابن

مسعود

(٣) رواه الترمذي ورواه

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ ۖ﴾ (٦) ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (١)

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٢) ﴿٣﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ .

إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِبَنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّةٍ وَحَسَنَةٍ . يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » (٥)

وعن صفوان بن عبد المبراد رضي الله عنه ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برذونه أحمر ، فقلت له : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم فقال :

« مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحُقُّهُ أَمْلَاكُهُ بِأَجْنَحَتِهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا أَسْمَاءَ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ » (٦)

(٢) سورة العنق ٧ ، ٦

(٣) سورة العنق ٧ ، ٦

(٤) رواه ابن ماجه ، والبيهقي في شعبه (١٥٨٨)

(٥) رواه احمد ، وابو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، وصححه ، والحاكم ، قال : صحيح الإسناد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال
 « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمَ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَحَدَهُ
 الْمُسْلِمَ » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ
 « مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ » (٢) .

العلم الذي يدعو إليه القرآن والحديث :

وقد يصير بعض الناس أن العلم لدى يدعو إليه القرآن إلى هو
 العلم بالدين ، أي . العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر . والعلم بالمعروف والنهي عن المنكر من صلاة وصيام وزكاة وحج .
 والعلم بالقانون لأحلاقه وتشريع لإلهي
 والواقع أن العلم بالدين . عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً ؛ مما يحدث
 عليه الإسلام ، بل هو في المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس
 في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين .

ومعرفة الإنسان بالله ووصته بالله عن طريق رسوله ، هي أسمى
 معرفة بالنسبة للإنسان باعتباره فرداً ، وبالنسبة لأمر المجتمع
 وطمأنئته على الدماء والأموال والأعرص

(١) رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، من طريق حسن . نصاه عن أبي هريرة

(٢) رواه أحمد ، والترمذي

يبد أنه إذا كانت المعرفة بالله عن طريق رسله لها اصدارة في
الأجواء الدينية ، فإن القرآن ميس لنا أن الكون كله هو كتاب للعلم
بالله سبحانه وتعالى . إنه مجموعة من اسواميس الإلهية التي
يؤدى اكتشافها إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة الحشية منه .

وتأمل معنى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ
(٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١)

لقد أبى قوله تعالى

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢)

في معرض حديث عن نسيو العالم امدى وربييه و لإبداع
فيه .

لقد دفع الفراد المسلمين دفعا إلى محتتم محالات المعرفة في
الكون . . لقد دفعهم إلى مجال معرفة بالتاريخ امدى يسميه « أيام
الله » . أيام الله التي أعم فيها على من اتبع هديه واستنم على
أمره ، ودمر فيها من سار في طريق معصية والشر . أيام الله التي
نصر فيها أولياءه ، وخذل فيها أعداءه :

(٢) سورة ناصر ٢٨

(١) سورة طهر ٢٧ ، ٢٨

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ الشَّاعَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ (٢)

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (٣)

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (٤)

ودفعهم إلى المعرفة بالبعث حينما أقسم ببعض الكواكب مشيراً
إلى مرسلها بهد القسم ، وحينما أقسم بمواقع السحوم ، والقسم
بمواقع السحوم فيه ما فيه من بعث للناسم والتدبر والبحث يقول
سبحانه :

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (٥)
ويقول سبحانه : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (٦)

(٢) سورة الروم ٤٢

(٤) سورة الأنعام ٦

(٦) سورة نجم ١

(١) سورة العنكبوت ٢

(٣) سورة غافر ٢١

(٥) سورة الواقعة ٧٥ ، ٧٦

وَيَبِينُ - سبحانه - أَنَّهُ رَبُّ الشَّعْرَى .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ (١)

ويتحدث سبحانه عن النظام الدقيق الذي تسير عليه الأفلاك
﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي
فَلَكَ يَسْتَحُونَ﴾ (٢)

وَيَبِينُ - سبحانه - الدقة في الصنع .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي
خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٣)

وهذه الجيوم والأفلاك التي أنشأها الله بها ، وأقسم بمواقعها ،
أعلى - سبحانه وتعالى - أنه سحَّرها لنا ، وامتن - سبحانه وتعالى -
علينا بتسخيرها .

يقول سبحانه :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٤) .

(١) سورة النجم ٢٩

(٢) سورة يس ٤

(٣) سورة الملك ١ - ٤

(٤) سورة يونس ٣٣

ويقول تعالى في سورة النحل :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ

بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١)

ويقول سبحانه :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرٌ﴾ (٢).

والمعنى لذى أحبه الله سبحانه وتعالى من وراء بيان ذلك ،

ومن امتثابه ، هو أن يصل الإنسان الى اكتشاف قوسينها ، إلى

تسحره ، إلى السيطرة عليها ، إلى امتلاكها

وإنه لمن الجهل أن يتحدث إنسان عن عروا مصاء ، وعن

الوصول إلى القمر ، ليقول إن الإسلام يعرض ذلك

إيه من الجهل بالإسلام أن يقول إنسان ذلك ، فقد أنزل القرآن

الكواكب منزلتها فيما كان الآخرون يقدسونها ، بل ويعبدونها

يقول سبحانه لهؤلاء الذين سجدوا لها وعبدوها .

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ (٣)

إنها مخلوقات ، الله ربها ، وكما أنه سبحانه - ربُّ الشَّعْرَى ،

(٢) سورة لقمان ٢٩

(١) سورة النحل ١٢

(٣) سورة فصلت ٣٧

فيه ربُّ كلِّ كوكبٍ وربُّ كلِّ نجمٍ ، وكما أنه خلق الشمس والقمر ، فهو الخالق لكلِّ السموات التي ربيَّ السماء الدنيا منها نزيهة الكواكب .

وكما دفع القرآن لمسمين إلى التعرف على « أيام الله » وكما دفعهم إلى النظر والتأمل والبحث في السحوم والكواكب ، فإنه دفعهم - على وجه العموم - إلى البحث والنظر والتأمل في الكون كله ، والآيات القرآنية في هذا لمحال تتعدون وتتناسق لتوجه الإنسان إلى التنقيب في جميع محالات كون لاكتشاف نو ميس الله في كتبه هذا لمطور . . يقول سبحانه :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢) .

ويذكر الله سبحانه وتعالى - في أوائل سورة الرعد - ما يلي

(١) سورة بقره - ١٦٤

(٢) سورة آل عمران - ١٩

﴿الْمَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾

ويمتدُّ الله سبحانه وتعالى على الإنسانية أجمع بآياته الباهرة ،
صديراً المثل للعقلاء المستصربين ، ليتحفظوا بسبحته والدراسة إلى
ما وحتهم سبحانه نحوه . يقول سبحانه :

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِّنَ
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ
قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ
الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

ولقد سحر الله - سبحانه ونعالى - البحر يقول سبحانه

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ
مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ
لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (٢)

ويقول تعالى

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ
حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ

(١) سورة الروم ٧ - ٢٧

(٢) سورة يونس ٢٢

تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

ويقول سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١٤) .

وينتهى لأمره في القرآن ، بأن الله سبحانه وتعالى سَخَّرَ الْكَوْنُ
كله للإنسان .

يقول سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١٥) .

ويقول سبحانه :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ
نُضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (١٤) .

ويقول تعالى :

(٢) سورة شعراء ٣١

(٤) سورة ن ٦ - ١١

(١) سورة النحل ١٤ ، ١٥

(٣) سورة شعراء ٢

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠) .

ومعنى هذا كله أن الله - سبحانه وتعالى - يوحه نظر الأمة للإسلامية إلى درسة كتابه المرثى إنه سبحانه يوحه نظرها إلى البحث في الآفاق على مختلف أوصاعها إنه سبحانه يوحه نظرها إلى لبحث في الأرض واسماء وما بين الأرض والسما .

﴿سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢١)

* * *

(١) سورة العاشية ، ١٧ - ٢٠ .

(٢) سورة فصلت ٥٣

٦. عن فضل العلم الدينى

ومع ذلك فإنه إذا كنا قد تحدثنا للآن . فى الأعلب الأعم . عن العلم فى محاله الكوسى ، أى فى محاله المادى المحسوس .

وإذا كانت الأحاديث السابقة فى «فضل العلم» على وجه العموم ، فإنه لا مريية فيه أن العلم الدنى خاصة قد وردت فيه أحاديث كثيرة أيضاً

وأن ما يذكره ها فيما سى فى العلم على وجه العموم ، أو فى العلم الدينى خاصة ، لا يحيط بكر ما ورد فى فصل العلم ، وإنما يذكر غيضاً من فيض :

عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ نَرَجَةِ النُّبُوَّةِ : أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ الْجِهَادِ ، أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ فَذَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ »^(١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

« مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغُشِيََتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »^(٢)

(١) رواه أبو يعقوب . واجزوا الإسلامى كله يؤيده

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، وغيرهما

وعن معاوية ، قال : قال رسول الله ﷺ .

« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي » (١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَ عَبْدٍ سَمِعَ مَقَالَتي فَحَقَّقَهَا وَأَدَّاهَا ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهَا قَلْبٌ مُسْلِمٌ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلِزُومُ جَمَاعَتِهِمْ ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تَحِيَّطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ » (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ » (٣) .

وعن سفيان أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب .

« مَنْ أَرَبَابُ الْعِلْمِ ؟ » . قال : الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْمُونَ . قال .

فَمَا أَخْرَجَ الْعِلْمَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ ؟ . قال : الطَّمَعُ » (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال .

(١) مشور عليه

(٢) روى الشافعي ، والبيهقي في المدخل

(٣) روى الترمذي ، وابن ماجه

(٤) روى الدارمي

فيما أعلم عن رسول الله ﷺ ، قال
 «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ
 سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» (١) .
 من آداب العلماء :

وقد حذر رسول الله ﷺ العصباء ، وأنذرهم ، وبين لهم
 آداب من آداب العلم والعلماء كثيرة ، منها ما يسي
 عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَيَقُلْ بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ :
 اللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِنْ مِنْ أَعْلَمَ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ . اللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ :

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٢) (٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ أَنْاسًا مِنْ أُمَّتِي يَسْتَفْقَهُونَ فِي الدِّينِ ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ،
 وَيَقُولُونَ : نَأْتَى الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا ،
 وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَسَادِ إِلَّا الشَّوْكُ ، كَذَلِكَ لَا
 يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطِيَا » .

وقال عمر رضى الله عنه لأحد الصحابة

« هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت : لا . قال : يهدمه زلة
 العالم ، وجدار المناقير بالكتاب ، وحكم الأئمة المصلين » (٤)

(٢) سورة ص ٨٦

(٤) رواه الدرر

(١) رواه ابو داود

(٣) متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ غَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ ، أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ » ^(١)

الصحابة والحث على العلم :

ولقد تابع المسلمون القرآن والحديث الشريف في الحث على
لعلم ، ونكتفى في هذا بما قاله سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه
روى الإمام العريفي في «الإحياء» قال :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه - ورأته مرفوعاً - قال :

« تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ نِعْمَتَهُ لِلَّهِ حَشِيَّةٌ ، وَطَلِبَتُهُ عِبَادَةٌ ،
وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ
صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ، لِأَنَّهُ مَعْلَمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَمَنَارُ
سَبِيلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُوَ الْأَنْيَسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي
الْغُرْبَةِ ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ ، وَالِدَلِيلُ عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ ،
وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ
أَقْوَاماً ؛ فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَدَةً ؛ تُقْتَفَى آثَارُهُمْ ، وَيُقْتَدَى
بِفِعَالِهِمْ ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ ،
وَبِأَجْنَحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ،
وَحَيْتَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُهُ ، وَسَبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةٌ

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي

القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبدُ
بالعلم منازل الأخيار والدرجات العليا في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ،
والتفكير فيه يعدلُ الصَّيَامَ ، ومُدارسَتُهُ تعدلُ القِيَامَ ، به تُوصَلُ
الأَرْحَامُ ، وبه يُعرَفُ الحلالُ من الحرام ، وهو إمامُ العمل ،
والعملُ تابعٌ ، يَلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ ، وَيُحَرِّمُهُ الْأَشْقِيَاءُ »

* * *

٧. الثمرة التي أدى إليها

البحث على العلم

وكانت نتيجة ذلك كله أن اندفع المسلمون إلى البحث في جميع ميادين الحياة، روحية كانت أو عقلية أو مادية، وشأء عن ذلك. اختصاراً الإسلامية أنتجت أمثال جابر بن حيان في الكيمياء، وابن الهيثم في البصريات، وأبي بكر الرازي في الطب، وابن سينا في الطب كذلك والفلسفة، والعمراني في الجانب الروحي، وابن رشد في الفلسفة العقلية، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ، والخوارزمي في الجبر، وكثيرين غيرهم وبصرى لأن بعض الأمثلة على ما وصل إليه علماء الإسلام من مكانة مرموقة . .

الكندى:

يقول دى نور عن الكندى في دائره المعارف الإسلامية «إن كوردا- وهو فيلسوف من فلاسفة النهضة- يعدُّ الكندى واحداً من اثني عشر، هم أبعد الناس عقلاً، وإنه كان في القرون الوسطى يعتبر واحداً من ثمانية، هم أئمة العلوم لفلكية». والطريف في حياة الكندى، أنه كان يحرق الكثير من التحارب حتى تقوم معرفته- في ميدان التجريبي- على أساس سليم.

وأنه كان يعرف الموسيقى نظرياً وعملياً، ويمرّج الموسيقى
بالطب في أمر العلاج

ويحكى عنه في هذا الميدان حكاية طريفة، وسواء أضحّت أم
لم تصح، فإنها تدل على أساس من معرفة الكندي بالموسيقى
وبالطب، ومن مزج بينهما

روى صاحب كتاب «أخبار الحكماء».

«وقد ذكروا من عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحاق
الكندي هذا أنه كان في حواره رجل من كبار لشحر، موسّع
عليه في تجارته، وكان له بن قد كفاه أمر بيعه وشرائه وصسط
دخله وخرجه. وكان ذلك التاجر كثير الإراء على «الكندي»
ولطمع عليه مدمماً لتعكيره والإعرء به فعرص لانه سكتة فحاة،
فورد عليه من ذلك ما أدهمه، وبقي لا يدرى ما لدى له في أيدي
الناس وما لهم عليه، مع ما دخله من الجرع على انه، فلم يدع
مدينة السلام طيباً إلا ركب إليه، واستركبه ليصرا به ويشير عليه
من أمره بعلاج، فلم يجبه كثير من الأطباء. لكبر العلة وخطرها.
إلى الحضور معه، ومن أحانه منهم فلم يجد عنه كبير عناء.

ف قيل له: أنت في جوار فيلسوف زمانه، وأعلم الناس بعلاج
هذه العلة، فلو قصدته لوحدت عنه ما تحب

فدعته الضرورة إلى أن يحمل على «الكندي» أخذ إخوانه
فتنقل عليه في الحصور فأجاب وسار إلى منزل التاجر فلم رأى

انه ، وأحد مجلسه ، أمر بأن يحصر فيه مع تلامذته في علم
 « موسيقى » ومن قد أقر الجذقي بصرب اعود ، وعرف الصرائق
 المحرقة ، مرعحة ، والمقوية للقلوب والنفوس فحضر منهم أربعة
 نفر فأمرهم أن يديموا الصرب عند رأسه ، وأن يأخذوا في طريقة
 أوقصهم عليها ، وأمرهم موقع العلم بها من أصابعهم على
 « الدساتس » ونقلها .

فلم يرالوا يضربون في تلك الطريقة ، و« الكندي » حذّ محسن
 الغلام وهو في حلال ذلك يمتدّ نفسه ويقوى نفسه ، ويرجع إليه
 نفسه شيئاً بعد شيء إلى أن تحرك ، ثم جلس وتكلم ، وأولئك
 يصربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون

فقال « الكندي » لأبيه سل اسك عن علم ما تحتاج إلى عمله ،
 مما لك وعليك وأثبتته ، فجعل ابرحل يسأله وهو يخبره ، ويكتب
 شيئاً بعد شيء .

فلما أتى على جميع ما يحتاج ، غفل الصاربون عن تلك
 الطريقة التي كانوا يصربونها وفتروا ، فعاد الصبي إلى الحار
 الأولى وعشبه السكات ، فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا
 يضربون به ، فقال :

هيهات ، إنما كانت صباه قد بقيت من حياته ، ولا يمكن فيها ما
 جرى ، ولا سبيل لي ولا لأحد من البشر إلى الريادة في مدة من
 قد انقطعت مدته ؛ إذ قد استوى العصية والقسم الذي قسم الله
 له .

ابن الهيثم:

وقد كان ابن الهيثم يخبر الأماكن التي يجري فيها تجاربه في الضوء ثم وضع كتابه عن تحريكه، ولقد كان كتابه مصدر الإلهام لكثير من علماء الغرب، في أبحاثهم عن الضوء والحرارة

وعن ابن الهيثم يقول سارون إنه من أكبر الباحثين في علم البصريات (الضوء) في جميع الأزمان

ابن النفيس:

إن الغرب يشيد بـ «هارفي» باعتباره مكتشف الدورة الدموية، وينسب لعرب أو ينسب ما قام به ابن النفيس من تحارب ومن ملاحظات واختراعات وصل على أساس منها إلى اكتشاف الدورة الدموية قبل «هارفي» بعدة قرون. لقد أثبت ابن النفيس أن الدم ليس مستقراً ثابتاً في الأوردة والشرايين، بل هو سائل سائر يدور في جميع أجزاء الجسم

ابن يونس:

واس يونس يخصص الكثير من وقته للنظر في الساعات، وتطويرها ويخترع سول الساعة الذي سمي «الرقاص».

يقول الدكتور عبد الحليم متصر في كتابه «محاضرات في العلوم عند العرب»:

«ولقد رصد ابن يونس كسوف الشمس وحسوف لقمر في

القاهرة، وقد وصف في زيجه الحاكمي الطريقة التي تتبعها فلكيو
العرب في عصر المأمون في قياس محيط الأرض

وهو الذي اخترع اسندول، وبذلك يكون قد سبق «جاليليو»
عدة قرون، وكان يستعمل لحساب التترات الرمية أثناء الرصد،
كما استعمل في الساعات الدقاقة، وقد برع ابن يونس في
حساب المثلثات وأجاد فيها، وفاقته بحوثه بحوث كثير من
لرياضيين، وقد حل مسائل صعبة في المثلثات الكروية،
واستعان في حلها بالمسقط العمودي لكرة السماوية على كل من
المستوى الأفقي، ومستوى الروال.

واتسع قوائمه ومعادلات كان لها قيمة كبرى قبل اكتشاف
الموغاريتمات ١.

البيروني:

يقول عنه المستشرق الألماني الذي نشر بعض كتبه: إنه أكر
عقلية طهرت على مجرى تاريخ، وكتبه عن عقائد الهد، وعن
المجتمع الهدى في عصره، تعتبر من المصادر الأولى في الدراسة
عن الهد في العصر الحاضر.

ولقد روى عن أبي الريحان السروني قصة واقعية تبين مدى
حرصه على العلم:

روى بقوت في «معجم الأدباء»، عن لفقيه على بن عيسى
الوالحي. . قال

« دحيت على أبي الرياح وهو يحود بنفسه ، فد حشرح
نفسه ، وصاق به صدره ، فقال في تلك الحار : كيف قلت لي
يوماً حساب أحداث العاسدة : (يعنى : ميراث الأحداث لام)
فقلت له : إشفاقاً عليه . أهي هذه احالة ؟^{١٩} قل لي يا هدا ، أودع
الدنيا وأنا عالم بهذه السأة ، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا
جاهل بها ؟

فأعدت ذلك عليه وحفظه .

وخرحت من عنده فسمعت الصراح وأنا في الطريق «
وبقد كان السيروسي من كبار لعلماء في لتاريخ ، بن يقول
المستشرق (سحاو) عنه إنه أكر عنليه علميه في اتاريخ ، ومن
كبار العلماء في علم الفلك .

ويقول المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام عنه

« هو من أعلام العلماء في تاريخ الإنسانية كلها » .

وسنا هنا بصدد التاريخ لعلماء المسلمين ، ونكتفي بكلمة
لدكتور عبد الحليم منتصر عن ابن الهيثم ، وعن البيروني . إنه
يقول في كتابه النفيس « محاضرات في العلوم عند العرب »
« يقول ابن الهيثم : إنه ما مدت له الحياة ، سبدل جهده ،
ويستفرع قوته ، في التأليف ، متوخياً أموراً ثلاثة .

أولها : أن يحد لباس في كتبه بعد موته الفائدة والعلم اسدين
يقدمهما لهم في حياته

وثانيها : أن يجعل من التأليف وتدييح الرسائل ارتياضاً لنفسه
هذه الأمور .

وثالثها : أن يدخر من تلك التأليف عدة لشيخوخة وأوان
الهرم

وعندما أراد أحد الأمراء أن يُجرى عليه أموالاً كثيرة ، قال ابن
الهيثم :

«يكفى قوتُ يومٍ وتكفى حارية وخدام ، فما راد على قوت
يومي ، إن أمسكته كنتُ حازبٌ ، وإن أسقته كنت قهرمانك ،
وإذا اشتغبت بهذين الأمرين ، فمن الذي يشتغل بأمرى
وعلمي

«فما قبلَ بعد ذلك إلا نفقةً احتاج إليها ولباساً متوسطاً
وقد رد ابن الهيثم لأحد الأمراء ما كان قد دفعه فجر تعميمه
قائلاً :

«خذ أموالك بأسرها فلا حاجة بي إليها ، وأنت أحوح إليها
منى ، عند عودتك إلى مُلكك ، ومسقط رأسك ، واعلم أن لا
أجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة لخير»

ويقول سارتون عن ابن الهيثم :

إنه أكبر عالم طبيعي مسلم ، ومن أكثر المشتغلين بعلم الماظر
(الضوء) في جميع الأزمان .

فقد كان أساس الأخلاق عند اس الهيثم إيثار الحق وطلب العلم ، أسس محمد بن خُلق بن لهيثم - العالم العربي لمصرى خُلق العدم الفاصل ، ألسنا يرى أنه مثل يُحتدى فى حيانه ، وأنه لمثل يُحتدى به فى عصره ، ومن بعده سحو ألف من الأعوام (١) .

وكذلك تميز البيرونى بعقلية علمية نادرة المثال ، نستطيع أن نصعها فى مصف أرقى ، لعقليات العلمية فى الرقت الحاصر ، ومن عجب أن يتمير البيرونى فى صور مختلفة غاية الاختلاف ، فهو فى الفلك « فلكى ممتار » شهادة علماء الفلك من القرنجة و العرب ، وهو فى الحيولوجيا « حيولوجى ممتاز » شهادة الحيولوجيين المعاصرين .

وهو فى التاريخ مؤرّح محقق مدقق واسع الاطلاع شامل المعرفة ، قادر على الاستقرار والاستتاج ، وإنما استطاع أن يجمع بين هذه العلوم ما أوتى من قدرة فائقة على البحث والدرس ، وما وهب من ذهن خارق جبّار .

يُروى أنه لما أتم البيرونى تأليف كتابه « القابون المسعودى » حملهُ إلى السلطان الذى أراد أن يحزبه على هذا العمل العظيم ، يستحقه ، فوجه إليه ثلاثة حملات تنوء بأحمالها من نقود الفضة ، فردّها البيرونى قائلاً :

(١) محاضرات فى العلوم عند العرب للدكتور عبد حليم مصرى - ص ٨

« إِنَّهُ إِنَّمَا يُخَدَّمُ لِعِلْمٍ لِلْعِلْمِ لَا لِلْمَالِ »^(١).

وبعد الأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح ، بعض أعلام العلماء المسلمين فيقول :

« والإسلام بدعوته إلى العلم هو الذي خرَّج رجال الحضرة ، وجهابذة العلم وأساتذة اندب وعمالقة لعلماء ، أمثال .

ابن الهيثم ، والكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والبيروني ،
والفرغاني ، والطوسي ، والبغدادى ، والدينورى ، والرازى ،
والقزوينى ، والأنطاكى ، والهرافى ، والخوارزمى ، والصدفى ،
وجابر ، والجاحظ ، وابن البيطار ، وابن النفيس ، وابن حيان ، وابن
حمزة ، والإبريسى ، والمسعودى ، وابن بطوطة ، وابن زهرة »^(٢).

هؤلاء الأعلام (وكثير - غيرهم - فى كل من) هم ثمرة هذه
الدعوة الإسلامية التى بلغت - فى الإشادة بالعلم - الذروة

* * *

(١) مصدر السائح

(٢) مجلة " الرسالة " الإسلامية ، التى يصدرها دار الأوقاف بعراق

٨ أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم

مسألة الصلة بين الدين والعلم - انسجاماً واتفاقاً ، أو تعارضاً
ونزاعاً - مسألة تُثار دائماً

ولقد كتب العرييون كثيرٌ في هذا الصدد ، بل هم أول من
كتب فيه ، ولكن هذه المسألة تجاوزت العرب إلى الشرق ، وكتب
مفكرو لشرق فيها ، واحتلوا فيما بينهم كما حتل مختلف مفكرو
العرب .

وإن ما كتبه العلامة الفرنسى « إميل نوترو » - فى هذا الصدد -
يعطين صورة عن هذه المسألة فى العرب وفى الشرق الحديث ، إنه
يقول

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم ، حين يُرَقَّب فى ثانيا
التاريخ ، يشير أشد لعجب ، فإنه على الرغم من تصالح الدين
والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى
بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلاً عقلياً لم يرح العلم
والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم يقطع بينهم صراع يريد به
كل منهما أن يدمر صاحبه ، لا أن يعليه بحسب .

على أن هذين البطامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجدياً أن
تجاوز العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا
الرق ، وكأنما انعكست الآية مذكاة .

وأخذ العلم يندربقضاء الأديان، وكن الأديان صلت راسحة،
وشهد عما فيها من قوة أحياء عبق الصراع^(١)

ويستترسل المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق، فيقول:

«ولست يريد أن يعرض لساريح العلاقات بين الدين والعلم
على مر العصور، وما تناوبها من سلم وحرب، فإن ذلك بحث
طويل، وليس هو مما قصدنا إليه في هذا الكتاب، على أنه قد
يكون غير حلّو من المناسبة لعرضه أب نذكر ما كنه إميل بوترو عن
موقف العلم وألدين في أيامنا هذه، إذ يقول:

يس التصادم الآن فيم يظهر بين الدين والعلم باعتبارهما
مدهين، بل التصادم أدى أن يكون بين الروح لعلمي والروح
الديني، فليس يعنى العالم أن يكون ما حاء في الدين من عقائد
متفقاً مع نتائج العلم، لأن الأساس الذي يعتمد عليه الدين فيما
يجيء به يختلف عن الأساس الذي يعتمد عليه العلم، فالدين
يقدم مسائله على أنها عقائد يجب الإيمان بها، أي يجب أن
يتقيد بها العقل والوحدن، ويعرضها في صورة تدل على اتصال
الإنسان بنوع من الأشياء يعجز علم الطبيعي عن إدراكه، وفي
ذلك ما يجعل العلم - إن لم يرفض هذه المسائل نفسها - يرفض
الأسلوب الذي يسلكه المتدين في الأخذ بها. والمتدين من ناحيته
إذا وجد جميع عقائده وعراضه وأحكمه العملية مفسرة، بل

(١) «الدين والوحي والإسلام» للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق

مثبتة بالعلم يكون حينئذ أبعد شيء عن مساندة العلم، فإن هذه
الشئور إذا شرحت على هذه الوجه فقدت كل خواصها الديرية »
اهـ .

والبواقع أن كلام « ميل بوترو » الذي ترجمه الشيخ مصطفى
عبد الرارق، يتحدث عن خواص الأوربي المسيحي، وعن البيئة
الأوربية لمسيحية، ومن الخطأ أن ننقل ذلك الراء إلى البيئة
الإسلامية .

أما كونه يصور بيئة لأوربية المسيحية، فإن ذلك واضح لكل
من درس تاريخ أوربا المسيحية، في موضوع العلاقة بين الدين
والعلم .

إن الكنيسة في فترة من فترات حياتها - تنبت آراء أرسطو، لقد
تبنتها في الطبيعة وتنتها فيما بعد الطبيعة، وما كانت آراء أرسطو
في يوم من الأيام ديناً . وكد للكنيسة - فضلاً عن ذلك - آراء أمت
بها، تتعلق بالعالم الطبيعي، لا أساس لها من الحق ولا تستند إلى
علم يتينى . ولا تمت إلى العلم بصلة - وإنما هي شائعات اتخذت
طريقها إلى العقائد، وما كانت إلا أساطير

و حينما بدأت النهضة، وحينما بدأ تطبيق منهج الاستقرئ
« منهج التجربة والملاحظة » تيسر العلماء من حلال المرصد
والمعامل، ومن نتائج التجارب والملاحظات، أن آراء أرسطو في
الطبيعة لا تحلو من خطأ، وأخذوا يعاون هذه الأخطاء مرة بعد
المررة .

وكانت الكنيسة حينئذ مسيطرة على أوروبا، وكانت محاكم التفتيش قائمة على قدم وساق، تسكّل بكل منحرف عن نيار الكنيسة.

وبدأ - إذن - التنكيل بالعلماء، يأخذ محراه، في صورة قاسية شعة، لا تعرف الرحمة ولا الإنسانية.

ولكن العلماء لم يشهم ذلك عن البحث والدراسة، وإعلان التنع والإسفار عن الحقائق فلما رأّت الكنيسة ذلك راد عيظها ورادت حدّتها، وكان لها في كل يوم فريسة، وكان للعلم في كل يوم شهيد، وكثر شهداء العلم كثرة جعلت الناس يعتقدون أن بين الدين المسيحي والعلم تعارضاً وتصارباً واختلافاً

والواقع أنه كان بين المذهب - كما نراه للكنيسة - والعلم، تعارض وتصارب واختلاف، ولكك لا يمكنك أن تسمي المذهب الذي كانت تراه الكنيسة - إذ ذك - ديناً.

إذن - فإنه ما كان يمكن أن تقوم فكرة « التعارض بين الدين والعلم » لو التزمت الكنيسة الدين المسيحي، كما جاء به سيد المسيح عليه السلام.

هذا من جانب، أما من الجانب الآخر - فإنه إذ كانت فكرة « التعارض بين الدين والعلم » نشأت في أوروبا للأسباب التي ذكرناها، فإنه ما كان يجب أن تُقل إلى الشرق وتُناقش في

الأحواء الإسلامية، فإن الإسلام شأ - كما رأيت - حليفاً للعلم،
حائثاً عليه، مُوجِئاً له، مُشيداً به، إلى درجة لا يُدانيه فيها غيره .
ومع ذلك : فإن الأمر العام الذي نريد أن نبه عليه، هو أن
مسألة التعارض بين الدين والعلم إنما هي مسألة وهمية إذا نظرنا
إلى حقيقة الأمر .

ذلك أن العلم ومثليه الحقيقيين يعترفون في صراحة لا لـس
فيها، وفي وضوح لا خفاء فيه، بأن دائرة أبحاثهم إنما هي المادة،
وإنما هي المُحَسَّن، وأنهم يعتمدون في ذلك على التجربة، وعلى
الملاحظة . إنهم يعتمدون على الاستقراء على وجه العموم وليس
الاستقراء إلا تتبع جزئيات مُحَسَّنة، تتبعها بالملاحظة، أو بحراء
التجارب عليها .

المهج العلمي - إذن - إنما هو منهج لمعرفة كيفيات المادة، وإذا ما
حرج الأمر عن دائرة المادة فقد حرج عن دائرة العلم
وعلى هذا الأسس - فليس للعلم - مطلقاً - دخل في أمور
الدين : إثباتاً وإقراراً أو نفيّاً وإككاراً

وإذا ما قال قائل : «إن العلم يُثبت كذا من الأمور الروحية» .
فإنه يكمننا منه هذه الكلمة بسحب ثقتنا به كعالم . . وإذا ما قال :
«إن العلم يُنكر كذا من الأمور الروحية» . فإن هذه الكلمة تكفي
أيضاً بسحب ثقتنا به كعالم ؛ إذ إن العلم - في المجال الروحي - لا
يُثبت ولا ينفي، وهذا واضح مما سبق أن ذكرناه .

ومع ذلك فقد يتيح العلم بأبحاثه في ارتباض الكون وتسيفه وإبداعه ، والتدعم الذي يسوده ، والدقائق الساهرة التي يبنيها «علم التشريح» مثلاً في التركيب الحيواني . .

قد يتيح العلم من كل ذلك لعلماء الدين وسائل يبنون عليها ندكرهم ، وعطائهم ، وسانهم القوائم على أن العلم لم يكن نتيجة الصدفة العمياء ، أو الاتفاق الأصم ، ويبينون من نتائج العلم أن الآيات في مجال المادة نفسها تشهد أنها من صنع الله الذي تقرر كل شيء .

﴿سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)

إن دائرة الدين لا تتحد مع دائرة العلم ، فلا تتأتى أن يكون بينهما تعارض . إن العلم لا يبحث في العقائد من حيث هي وحي ، ولا في الخير والشر باعتباره حقائق أخلاقية ، ولا في التشريع من حيث يجب على الأمة أن تس من قوانين .

وهذه كلها هي المجالات التي يعلن الدين وحي السماء فيها ، واجبات وفروضاً ، أو مباحات وحائرات ، أو محرمات ممنوعات .

(١) سورة فصلت ٥٣

وإياه لتقليد ببعثات أن نقل الفكرة التي شأت في استعراض
بين الدين والعلم - من بينتها لحرثية ، ومن صروفها الخاصة - إلى
محال الدين عامة ، أو محال الدين أيما كان ، وهي أي زمان وُحد
وإنه لمن التهريج الواضح ، وسوء البينة المبيته أن نقل الفكرة
من جر المسيحية إلى حو الإسلام الذي كنت أول كلمة في وحيه
«اقرأ» ، والذي يصل بالعلماء إلى أن يُشهدهم التوحيد مع الله
ومع ملائكته .

* * *

٩. المناهج العلمية بين الإسلام

والحصارة الحديثة

لا ريب في أن الحصارة الحديثة بدأت في قوة حاربه ، بمهجين
في لعدم يختلفون ، ويتعارضون ، ويتنازعون

أحدهما : المنهج الحسني التجريبي ، أو المنهج السيكوني .

والثاني : المنهج العقلي البديهي ، أو المنهج الديكارتي ، أو
لمنهج الحديسي حينئذ يفسر الحديسي كما فسره لمباطقة أنه
انتقال الذهن إلى المطلوب بسرعة

وكل من اسهجن نشأ معارص لمنهج القياس لأرسطى . وكل
منهما يرى أن «القياس الأرسطى» إنما يعنى بالصورة و شكل ،
ولا شأن به بالواقع والتطبيق ، ومن أحل ذلك سُمى بالمنطق
النصوري ، أى : منطق الصورة ، لا الجوهر .

والمنهج السيكوني هو منهج علمي .

أما المنهج الديكارتي فإنه منهج فلسفي

والمنهج التجريبي :

هو المنهج الذي قامت عليه الحصارة الحديثة ، ومن أحل ذلك
سنقصر حديثنا عليه .

إنه منهج الاستقراء ، أى تتبّع الحريثات عن طريق التحرية
فيما يمكن أن يخضع لسلحربة وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن

بحصص للتحررة ، للوصول إلى احكم عليها . فى صورة من صورها . حكماً كدياً ، و بعبارة أخرى ، للوصول إلى اكتشاف القوانين لعامة ، أو للوصول إلى معرفة نواميس الكون .

ومحال الاستقراء ، إنما هو الطبيعة ، لأنه ملاحظة جزئية فى عالم الطبيعة ، وأداته الحس ، فهو ملاحظة محسوسات

وعلى أساس من هذا المنهج قامت احصار الأوربييه الحديثه بكل ما فيها من صنعة فى الطبيعة ، ومن اكتشافات فى الكيمياء ، ومن قوانين فلكية ، ومن اختراعات فى جميع المجالات المادية والحسية

وعلى أسس من هذا المنهج . أيضاً . ستتطور هذه الحصار ، وترقى وتتسع كماً وكيفاً . إلى ما شاء الله

وهذا المنهج ، فى المشهور المتعارف ، يدين . فى وجوده . إلى «فراسيس بيكون» ولكنه عند لدارسين لتاريخ الفكر الأوربي ، يدين لـ « روجر بيكون » أكثر مما يدين لغيره . والملاحظون الدرسون لمعلوم يرون أن روحر بيكون كان أدق وأعمق فى بيان المنهج وفى تطبيقه ، سيد أن روحر بيكون . على خلاف كثير من مواظيه يعترف فى صراحة لالبس فيها ، وئى وصوح لأشائبة فيه ، أنه مدينٌ فى منهجه للعرب وللحصارة العربية .

هذه «الحقيقة» لتي حاول العربيون . جهدين . أن يكروها ويحموها . فيما مضى . يعليها لأن بعض المنصفين منهم ، فها هو

١١ الأستاذ «يريقولت» يتحدث في كتابه «ساء الإنسانية» عن أصول الحضارة الغربية فيقول :

«إن روجر بيكون درس اللغة العربية ، والعلوم العربية - في مدرسة أكسفورد - على خلفاء معلّمي العرب في الأندلس . وليس لروجر بيكون، ولا لسَمِيّه الذي جاء بعده، الحق في أن يُنسب إليهما الفضل في ابتكار (المنهج التجريبي) ، فلم يكن (روجر بيكون) إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم يملَ قطُّ من التصريح : بأن تعلّم معاصريه اللغة العربية ، وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقّة .

والمناقشات التي دارت حول (واصعي المنهج التجريبي) هي طرف من (التحريف الهائل) لأصول الحضارة الأوربية . وقد كان (منهج العرب التجريبي) - في عصر بيكون - قد انتشر انتشاراً واسعاً وانكبّ الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوروبا .

ويقول «يريقولت» أيضاً :

« لقد كان (العدم) أهم ما جادت به (الحضارة العربية) على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج .. إن العبقرية التي ولّدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض في عتقوانها إلا بعد مضيّ وقت طويل على احتفاء تلك (الحضارة) وراء سَحَب الظلام .

ولم يكن (العلم العربى) - وحده - هو الذى أعاد إلى أوربا
الحياة ، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة
الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية .

ويقول بريفولت أيضاً

« إن ما يدين به علمنا لعلم العرب : ليس فيما قذموه إينا
من كشف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا (العلم)
للتقافة العربية بأكثر من هذا.. إنه يدين لها بوجوده نفسه ،
فالعالم القديم - كما رأيت - لم يكن للعلم فيه وجود .

و(علم النجوم) عند اليونان ، ورياضياتهم ، كانت علوماً
أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم ، واخذوها عن سواهم ،
ولم تتأقلم - فى يوم من الأيام - فتمتزج امزجاً كلياً بالثقافة
اليونانية .

وقد نظم أهل اليونان المذاهب ، وعممو الأحكام ، ووضعوا
المنظريات .. ولكن أسباب البحث - فى دأب وأناة - وجمع
المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ،
والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبى ، كل ذلك كان
غريباً - تماماً - عن المزاج اليونانى ، ولم يقارب البحث العلمى
نشأته فى العالم القديم لا فى الإسكندرية فى عهدها الهلنسى
.. أما ما ندعوه «العلم» فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من
البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ، وطرق
(التجربة ، والملاحظة ، والمقاييس) ، ولتطور الرياضيات إلى

صورة لم يعرفها أهل اليونان . وهذه الروح ، وتلك المناهج
العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوربي »
ويقول الدكتور محمد إقبال ما نصه :

« ومن أين استقى روجر بيكون ما حصَّله في العلوم من
الجامعات الإسلامية في الأندلس . والقسم الخامس من كتابه
«Lepus Majus» الذي خصَّصه للبحث في (البصريات) هو -
في حقيقة الأمر - نسخة من كتاب «المناظر» لآمن الهيثم .
وكتاب روجر بيكون - في جملة - شاهد ناطق على تأثيره
بابن حزم »

هذه الحقائق التي قدمها عن حصارة لعرب - مبسَّحاً وعمماً -
أصبحت من الديوع واشتهرة لدى المنصفين ، بحيث لا تحتاج إلى
اتوسع في الاستدلال عليها .

أخذت أوروبا المنهج لعلمی المادی عن الإسلام باعترا ف واضع
هذا المنهج نفسه ، وباعترب المنصفين من المؤرخين ، وليس بعد
اعتراف واضع المنهج نفسه مقولٌ لقائل .

ومع ذلك فإن المنهج الإسلامي أكمل وأتم ، وأشمل ، وقد
أخذته أوروبا ناقصاً .

إن المنهج التجريبي يقف عند الطبيعة ، وهو منهج إسلامي ،
ولكنه ليس بالمنهج الإسلامي الكامل ، فالمسلم لا ينتهي إلى
«الطبيعة» كغاية ، ولا يقتصر عليها كهدف . وإنما غايته وهدفه

هو ما عرّ عنه الله سبحانه بقوله ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (١).
 وإذا اقتصرنا أوريا على العلم المادى، فإن الإسلام لا يقف
 عند ذلك وإى يوجّه الإنسانيه إلى مصدر احر للعلم والمعرفة : هو
 القلب، أو هو الروح، أو هو الصيرة.
 إن الإسلام يوجّه الإنسانية إلى « المعرفة الإشرافية »، أو
 الكشفية، أو الإبهامية ويجمع لإسلام الاتحاد العلمى الحديث
 إلى الاتجاه الصيرى ؛ فى قوله تعالى :

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (٢)

فلسمع والبصر : هم أساس العلم المادى . علم التجربة
 والملاحظة ، أما القلب : فإنه أساس لعلم الإلهامى .
 إن الله - سبحانه وتعالى - يوجّه المسلم إلى الملاحظة والتجربة ،
 ويوجّهه أيضاً إلى الاستشراف للهداية ولور القلى عن صريق
 الخلق الكريم والتقوى والإخلاص وحب الإنسانية والمعاونة فى
 الخير

وإذا كان الإسلام أوسع طرة فى الجانب العلمى عن لخصارة
 الحديثة ، وأدق وأشمل ، فإنه يختلف معها اختلافاً جذرياً حاسماً
 فى مسألة الإرادات والنوايا وهى أمر الأسباب والسواى واتجاه
 العايات والأهداف .

إن لخصارة الحديثة تقوى « العلم لا صلة له بالأخلاق »، أو

(١) سورة لجم ٤٢

(٢) سورة الإسراء ٣٦

تقول « اعلم لا أخلاقى » . والعلم - فى نظرها - لا شأن له بالخير والشر .

ولكن للإسلام جعل أسس لعلم مُتَسَيِّمَةٌ بالخير ، ويجعل غايته معمسة فى الخير ، ويجعل من العلم قُرْبَى إلى الله ، ويجعل منه عبادة لله ، إنه سبحانه يجعله باسمه الكريم . إن العلم فى الحو الإسلامى «قراءة باسم الله»

* * *

١٠- إجمال في موقف

الإسلام من العلم

و، لأن نحب - نتوفيق الله تعالى - أن يذكر نتائج بحث في كلمات موجزة:

١- العلم في الإسلام شَطْرُ العَايَةِ الَّتِي مِنْ أَحْلَاهَا نَرَبُ لِرِسَالَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَهْمَةَ الرِّسُولِ ﷺ - كَمَا حَدَّدَهَا الْقُرْآنُ - الْعِلْمُ، وَالتَّرْكِيَّةُ

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾^(١)

٢- شَطْرُ لإِسْلَامٍ حَلِيفٌ لِعِلْمٍ، مِنْذُ أَنْ أَمْسَأَ وَحْيِي بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ﴾^(٢).

٣- الإِشَادَةُ بِعِلْمٍ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لَا يَكْتَفِي بِهَا - فِي سُمُومِهَا وَجَلَالِهَا - إِشَادَةُ فِي الْأَدَابِ الْعَالِمِيَّةِ

٤- الْعِلْمُ لَدَى يَدْعُو إِلَيْهِ الثَّرَاوَنُ كَرِيمٌ، وَسُنَّةُ لِمَسْوِيَةِ الشَّرِيفَةِ: هُوَ الْعِلْمُ بِكُلِّ نَافِعٍ فِي مَحَالِّ الْكُونِ، وَفِي مَحَالِّ مَا وَرَاءَ الْكُونِ؛ فِي مَجَالِ الْعَقَائِدِ وَفِي مَحَالِّ الْأَحْقَاقِ، وَفِي مَجَالِ الطَّبِيعَةِ.

٥- لِمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ لِأَوْرَسِي الْحَدِيثِ، مِنْهَجٌ أَخَذَتْهُ أَوْرَسَا عَنْ الْإِسْلَامِ بِاعْتِرَافِ الْوَاصِعِ الْحَقِيقِيِّ لِمَنْهَجِهِ وَهُوَ "رَوْحَرِي بِيكُون"

(٢) سُورَةُ الْعَلَقِ ١

(١) سَمَاءُ الْبَقَرَةِ ١٢٩

٦- لا تعارض بين الدين والعلم ، لأن دائرة الدين «الإيمان» ،
ودائرة العلم «المادة» ، وإن الأمل لكبير في أن تستجيب الأمم
الإسلامية لدعوة الله ورسوله ، فتحمل من العلم أساساً لنهضتها
وشعاراً لها في قيامها برسالتها .

والله الموفق المبسر ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله
وصحبه ، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

* * *

١١. والواقع أن العلم في الدائرة الصوفية

هو العلم بمعناه الإسلامي أي: العلم

بالطبيعة والعلم بما وراء الطبيعة

إن كثيراً من الناس، في عصرنا الراهن، يحاولون، من
استصعوا، أن يقللوا من اهتمام الصوفية بالنسبة للعلم، ويرى
وحدو سداً في بعض الأوصاف التي لم تأخذ شكلها الصديق في
عصرنا الراهن.

وبعض الأحياء التي تنتسب إلى التصوف قد تعصى شيئاً من
المنظر المزيف لأعداء التصوف، ليحاولوا التقسيم من شأن
الاهتمام العمى عند الصوفية

والواقع أن العلم في الدائرة الصوفية هو العلم بمعناه الإسلامي
أي: العلم بالطبيعة، والعلم بما وراء الطبيعة. إنه العلم بالأخلاق
وبالمصيلة، وهو العلم بسواميس الإلهية السارية في الكون
والتي يكتشفها علم التشريح أو علم الطبيعة، أو علم الفلك، أو
غير ذلك.

وإذا كنت الحقيقة تُمرُّ عن قاعها بالأمثلة، فإنَّ بدأ من قال
عه القشيري:

« سيد هذه الطائفة وإمامهم ».

إليه « الجنيد » . . لقد كان فقيهاً يعنى في حلقة أستاذه،
وبحضرته، وهو ابن عشرين سنة وتأمل ما قاله القدماء عن
درسه.

لقد كان الكتبة (الأدباء) يحضرون مجلسه ؛ لأفناظه .

وكان الفقهاء يحضرون مجلسه ؛ لتقريره .

والعلاسة يحضرون مجلسه ؛ لدقة نظره ومعابه

أما المتكلمون فكثروا يحضرون مجلسه " لتحققه

وكان الصوفية - من قبل هؤلاء ومن بعدهم - يحضرون مجلسه
لإشاراته وحقائقه .

ولقد حضر أبو الحسن علي بن إبراهيم الخزاز يوماً مجلس
لقاصي أبي العباس بن شريح فسمعه يتكلم في الفروع والأصول
(أي في علم الفقه ، وعلم التوحيد) بكلام حسن .

يقول أبو الحسن : فمحنت منه ، فلم رأى ، عجبني قال :
أتدري من أين هذا ؟

قلت : يقول به القاصي .

فقد : هذا بركة محالسة أبي القاسم الحفيد

أما علم الحفيد نفسه ، فقد حاهد في سبيل تحصيله السنين
الطوال عن طريق الدرس والتحصيل ، وكان هذا الطريق الحاد
الكسبي من علمه

أما أبحاث الوهبي ، فإنه سُئل من أين استمدت هـ لعلم ؟
فقال : من حدوسي - بين يدي الله - ثلاثين سنة ، تحت تلك
الدرجة . (وأوماً إلى درجة في داره)

وقد حفظ الحيد للقرآن، وفهمه، ودرسه، وتدبره، وقيد الحديث، واستوعبه، قدر الاستطاعة - لقطاً ومعنى، روية ودراية.

ودلت أنه يرى - كما يرى غيره من الصوفية - أن ذلك هو الأساس، ولابد من إحكام الأساس.

وإحكام هذا الأساس يجعل من أحكامه فقيهاً، ويجعله محدثاً، ويجعله مهسراً، ويجعله من علماء لتوحيد.

ولقد أحكم الحيد هذا الأساس قدر الاستطاعة:

أحكامه تُعدُّ، وأحكامه استناره، وأحكامه لأنه صوفي، وقال فيما رواه القشيري:

« مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ ، وَلَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ : لَا يُقْتَدَى بِهِ فِي هَذَا الشَّانِ ، لِأَنَّهُ عَلِمْنَا هَذَا مُقَيَّدًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ »

ولقد كرر الحيد رحمه الله هذا المعنى ؛ حتى يشبست في دهاج الصوفية.

يروى الروزباري عن الجنيد أنه قال .

« مَذْهَبُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِأُصُولِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ »

ويروى القشيري أيضاً عن الحيد أنه قال .

« عَلِمْنَا هَذَا مُشَيَّدٌ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »

ويكفي أن يتصفح الإنسان رسائل الحند لله لبشعر أنه أمام
عالم من أئمة علماء المسلمين .

والجديد لله مثال للصوفي عبي ما ينبغي أن يكون ، ولم يكن
الجديد مدعى في عالم الصوفية ، وأستاذة الحارث بن أسد المحاسبي
لم يكن في زمانه نظير له في علمه . .

ومؤلفاته كثيرة متنوعة ، وكلها في مستوى سام حتى
أصبحت من المصادر الرئيسية التي أهدت الإمام العزالي وأثرت
فيه .

وكتاب « الرعاية » للمحاسبي ، كتاب أديب ، عالم حجة ،
وكتابه « فهم القرآن » بحسب ما وصفا منه من نصوص - كتاب
البحث الدقيق ، الذي يتحد القرآن والسنة أساساً ، وينطلق منهما
إلى إصاءة جو العوائد رداً على المستدعة والسحرفين

ولقد حاول دواوين المصري - من قبل الجنيدي - أن يكتشف من
معميات الكون ما خفى على الكثيرين ، لقد كانت له جولات
في عالم الكيمياء ، وأسرار الطبيعة ، ولقد حاول أن يكتشف
أسرار علم قدماء المصريين ، وأن يقرأ كتبهم ، ويتفهم لغتهم
قد كان يحب اكتناه الغامض ، ويحاول أن يزيل القناع عن
المحجوب ، فصلاً عن شعاره لدائم ، وهو « قرآن الكريم ، وسنة
رسول رب العالمين .

وهل أتاك بأ الإمام القشيري ، وأنه فسر القرآن ، كما يفسره
هذا ، وذلك من علماء اللغة ، وعلماء أسباب النزول ، وعلماء

لبحو والسلاعة ، وغيرهم ، ولم يكن أقل من أىّ منهم فى علمهم
وفهم .

إبه لم يكتف بذلك ، وإنما ألف فى تفسير المرآة : « لطائف
الإشارات » فكان إلهاماً من الإلهامات ، وكان نوراً من الأنوار ،
ولم يذكر فيه كل الإشارات ، وإنما ذكر لطائفها
ولقد خاض الإمام العزاسى بحار العلم ، وانعمس فيها ،
ويعر عن ذلك بقوله :

« ولم أزل فى عنقوان شبابى - منذ ر هقت البلوغ ، قبل بلوغ
العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين اقتحم لجة
هذا البحر العميق ، وأخوض غمرنه خوض الجسور ، لا خوض
الجبان الحدور ، أتوغل فى كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ،
وأتحكم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة . وأستكشف
أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين مُحَقِّق ومُبْطِل ، ومُتَسَنِّئ
ومُبْذِع ، لا أغدر باطنياً إلا وأحب أن أطبع على بطانته ، ولا
طهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارنه ..

.. ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كُنه فلسفته .

.. ولا متكئاً إلا وأجتهد فى الاطلاع على عايه كلامه
ومجادلته .

.. ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صوفيته .

.. ولا متعبداً ، لا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته .
ولا زنديقاً معطلاً إلا واتحسس وراءه للتنبيه لأسباب
جرأته في إعطيله وزندقه .

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى ، من
أول أمرى ، وريعان عمرى ، غريزة وفطرة من الله ، وضعتا في
جبلى لا باختيارى وحيلتى ، حتى انحلت عنى رابطة التقليد ،
وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن الصبا «
أما الذى طوع محلف العلوم ، وأملك ناصية المعرفة عني
محتلف فروعها ، ووصل فيها إلى لقمة : لم يحارهِ فى ذلك
فيلسوف من فلاسفة الشرق ، ولم يحارهِ فى ذلك فيلسوف من
فلاسفة الغرب . . فإنه :

الشيخ الأكبر ، سيدنا محيى الدين بن عربى .

لقد طوع المعرفة فكره ، وصوعها لقلمه ، وبلغ فيها لقمة ،
وحق سُمى الشيخ الأكبر ، ولقد كر فى فتوحاته مفسراً خيراً من
كثير من المفسرين ، وفقهاً خيراً من كثير من الفقهاء ، وشارحاً
للحديث خيراً من كثير من شراحه ، وفتوحاته كسر من المعرفة لا
ينهد ، ومعين من العلم لا يصب . . إنه رشفة من بحار رسول الله
ﷺ تتسم دائماً بنضرة مبعها .

والصوفية فى الجانب العلمى لا يكتفون بالجانب لكسبى ،

أى : جانب التعلم من الكتب ، وعلى أساتذة الكتب ، ولكنهم
قرأوا فى كتاب الله تعالى :
﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (١) .

فتعلقت آمالهم بهذا العلم الآتى مباشرة من الله . وتطلعت
أعيانهم إلى هذا العلم الذى هو من عند الله ، واتخذوا الطريق
إليه .

والطريق إليه رسمه الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ،
وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ ، إنه اجتهاد فى سبيل الله
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سَبِيلَنَا﴾ (٢)

وهو العمل بما علموا :

«مَنْ عَمِلَ بِمَا عَمَّ : وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»

وهو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ، ومن حقق العبودية
لله كان الله سمعه وبصره .

« كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ » .

وشعار الصوفية على وجه العموم فيما يتعلق بالعلم ، هو
شعار أستاذهم وقادوتهم وحبيبهم رسول الله ﷺ الذى كان
شعره .

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٣) .

(٢) سورة العنكبوت ٦٩

(١) سورة الكهف ٦٥

(٣) سورة طه ١١٤

وإذا كان أهل الظاهر قد فروا علمهم الظاهر، واكتفوا به،
هذه الصوفية قد حصّلوا هذا العلم وكنهم لم يكتفوا به، فقد
شاركوا علماء الظاهر في علمهم، ولكن علماء الظاهر لم
يشاركوهم إلهاماتهم وإشراقاتهم . .

هل يذكر في هذا المجال الإمام الغزالي في علمه الظاهر، وفي
علمه الباطن؟

هل يذكر القصب الكبير نا الحس الشاذلي، أو القطب الكبير
أحمد الرفاعي، أو القطب الكبير عبد القادر الجيلاني، في
علمهم الظاهر، وفي علمهم الباطن؟

واشعراني الذي ساهم تقريباً في جميع فروع المعرفة الدينية،
أنساه في هذا المجال؟ . .

- إن «التصوف» و«العلم» يؤلفان وحدةً متّحدةً منذ أن نشأ
التصوف.

* * *

موقف الإسلام من الحضارة الحديثة

- الآراء المختلفة .
- الشطر الأول من الحضارة .
- الشطر الثاني من الحضارة .
- ما يتعلق بالتشريع .

١. الآراء المختلفة

* ما موقف المسلم من الحضارة الحديثة ؟ .

* ما موقف علماء الإسلام من الحضارة الحديثة ؟

تعدد الآراء في ذلك : فهناك آراء هؤلاء الذين يرون أن نأخذ
الحضارة الحديثة كاملة ، دون نقص ، تقريباً . .

ومد عهد - ليس بعيد - وقف أحد كبار المستشرقين في ندوة
جمعت بين كبار رجال الفكر وكبار رجال الدين ، وأعلن : يتم
تنكّر للحضارة الحديثة وقد ركسنا منها الطائرات واستعملنا
فوائدها في كثير من الأحوال ، وفي كثير من الحالات ، فلم نسكّر
لها في غير ذلك ؟ .

يجب علينا - عرفاناً بالحميم - أن نأخذ الحضارة الحديثة ككل
نأخذها بما لها وما عليها .

وليس هذا رأي هذا المفكر وحده وإنما هو رأي طائفة كسرة في
الشرق تدعو إلى أخذ الحضارة الحديثة ككل دون استثناء شيء
منها .

إن الحضارة الحديثة - في رأيهم - حضارة متكاملة - مادة
ومعنى ، شكلاً وحوهراً ، فلنأخذها ككل

ويعارض - هؤلاء - كثيرون يرفضون الحضارة الحديثة جملةً ،
وهذا الرفض قد يكون كثيراً في الأفراد ، بيد أن بعض الأول

تبنته أيضاً ، حاولت بعصر الدول على الماضي أن ترفض الحاصرة
الحديثة كليةً ، وأن تغلق في وحنها الأبواب . . ولم تُوقِّع الدول
ولم يُوقِّع الأفراد أيضاً ، فيما يتعلق بهذه المحاولة

والرأى الثالث: يرى أن علينا أن نأخذ الحاصرة لمادية ، أما
الحاصرة النظرية فليس بأحد من الصالح ، ويترك لها غير
الصالح .

وهذا الرأى يبدو أنه رأى الأعلى .

هذه هى مجموعة الآراء فيما يتعلق بالموضوع ، بل هى
مجموعة الاحتمالات لعقلية فى ذلك .

ومع هذا فىسى - أنا شخصياً - لم أرخص - بعد - رأياً .

أما فيما يتعلق بأخذ الحاصرة كلاً لا يتجزأ فأص أن اسألة فى
الجو الإيمانى وفى الجو الإسلامى السليم لا تحتاج إلى مناقشة
كثيرة .

هذه الحاصرة الأوربية فيها الكثير مما يحالف المبدئ الإيمانية
والمبادئ الإسلامية فلا يتأتى أن يسود رأى كهذا فى الجو
الإسلامى .

أما فيما يتعلق برفضها ككل فليس هذا - واقعياً - لم يتحقق لا فى
الأفراد ، ولا فى الجماعات ، ولا فى الدول ، ولا فى الأقطار ، أبداً
كانت .

ليس هناك قطرٌ لم يستفد من الحصار الحديثة، وليس هناك إنسان لم يستفد من الحصار الحديثة الإنسان، والقطر، والأقطار. . . بن إن بني آدم كلهم قد استفادوا من هذه الحصاره الحديثه، فلا يتأتى - قط - أن يسود الرأي برفض الحصار الحديثة كية وهذه الفكرة لم تتحقق في الواقع

ويأتى **الرأى الوسط**، الرأى الوسط الذى ساد ويسود في كثير من الأوساط، والذي يبدو لكثير من الناس أنه رأى الصحيح، نأخذ من احصاره الحديثه لصالح، وترك من احصاره الحديثه لضرار وافاسد.

وبكلمات بسيطة يمكننا أن نرى أن هذا الرأى فاسد أيضاً، إذ يعتمد على الفكر، على العقل، على الإنسان. دون ملاحظة للديس. إذا قلنا بأخذ الصالح، فما هو لصالح ؟ . وفي رأى من ؟ .

إن الصالح يختلف من إنسان إلى آخر
إذا قلت مثلاً ٦٪ فائدة في البنوك، ثم تسألت : أهذا صالح أم غير صالح ؟..

يقول لك كثير من الناس بحسب عقولهم وأفكارهم ورائهم . يقولون لك إنه لا بأس بستة في المائة فائدة في البنوك . ويرفض ذلك آخرون .

فهل ٦٪ فائدة في البنوك: صالح أخذها أم ليس بصالح ؟..

يختلف الناس .

وأتى إلى مسائل أخرى متحدثين بأسلوب العقل لا بأسلوب
الدين . . ويقول :

- شرب قليل من الخمر هل هو صالح أم ليس بصالح ؟ ..

وستجد - لا محالة - من يقول إنه لا بأس شرب قليل من
احمر

- والاستحمام على السواطى . . هل هو صالح أم ليس
بصالح ؟ ..

- هل نأخذه من الحضارة الغربية أم لا نأخذه من الحضارة
العربية ؟ ..

ستجد أيضاً أصحاب الأهواء شيطانية ، وأصحاب الآراء
خسيسة يصرون لك إن هذا صالح ، فاحسم صحته تسو، فر
فى ضوء الشمس ، ويستفيد من الفيتامينات التى فى إشعاع
ضوئها !! .

هذه انفصيا - وكثير غيرها - مما لا يقرها الدين - سجد لها أتباعاً
يقرونها ، من هؤلاء الذين يتبعون أهواءهم ، وستجد من يقول إن
ذلك صالح .

إذا أحداً لاحية الصالحة فى الحضارة الحديثة ورفضاً لاحية
غير الصالحة فإن رأى لا يستقيم ، لأن أساس يحتلزون فيه

اختلافاً كبيراً، ولا يتأتى - مطلقاً - التحديد ، تحديد الصالح وتحديد
غير الصالح ، لا يتأتى الاتفاق على التحديد م دما في مجال
العقل فحسب ، م دامت لمسألة أحده وصعها العملى الشكرى
فقط .

* ما المخرج - إذن - من هذا ؟ ..

* ما هو - إذن - موقفنا من « الحضارة الحديثة » إذا كنا لا
نقبلها ولا نرفضها ولا نتقبل التوسط فيها ؟ .
وأريد أن أحد الآن فى إبداء رأى لشخصى ، فيما يتعلو
بالموضوع ، ونحن فيما يتعلو بمجال الحضارة الحديثة نرى كما
يرى غيرنا ، والآراء فى ذلك لا تختلف - تقريباً - فى أن الحضارة
الحديثة تنقسم إلى قسمين: المادى، والثقافى ..

* * *

٢. عن الشطر الأول من الحضارة: الشطر المادى

القسم المادى قسم المعامل ، والمصانع ، قسم الطب ، قسم الكيمياء ، قسم لطبيعة . هذه لباحية المادية السحّة التى تتأتّى عن طريق الملاحظة والتى تحكمها التحرية

هذه الباحية المادية من الحضارة حديثة لا يأتى لها قطّ . أن نقول إن أوربا استدعتها ابتداءً ، أو اخترعتها ختراعاً .

وهذه لناحية نفسها . الناحية المادية . لها جانب ' جانب المنهج ، وجانب الموضوع .

أما فيما يتعلق بجانب المنهج فإنه منهج الاستقراء ، وهو منهج تتبع الحريّيات للوصول إلى نتيجة كلية

هذا المنهج الاستقراي . أو المنهج العلمى ، أو منهج السمع والبصر ، أى ' منهج الملاحظة . هو المنهج الإسلامى لقد سار عليه النبى ﷺ ، وسار عليه المسلمون قبل أن تنشأ الحضارة الأوربية .

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١)

السمع والبصر هما أساسا الملاحظة والتجربة ، أو عنهما تنشأ الملاحظة والتحرية .

(١) سورة الإسراء ٣٦

عدم اتباع الص ، والسير وراء الملاحظة ووراء لتحربة . هـ .
مصحح الإسلام ، اتحده لمسلمون منذ زمن بعيد ، وقد اعترف
العربون أنفسهم بأن « الإسلام » هو الذي بدأ بوضع « المصحح
التحريبي » ، واعترفوا بأن روجر بيكون ، الذي يعتسر في أوروبا
المؤسس الأول لمصحح لتحريبي ، عرّفوا بأنه أحده عن العرب ،
وبأنه لم يكن إلا تلميذ من تلاميذ العرب ، لم يكن إلا طبا في
مدرسة العرب ، اعترفوا بهذا صراحة . .

يقول أحد كتّابهم فيما يتعلق بالمصحح الخاص بالتجربة ، بمنهج
الملاحظة الذي بُني عليه الحضارة المادية الحديثة ، وهو الأستاذ
« بريفولت » في كتابه « بناء الإنسانية » :

« ليس لروجر بيكون - ولا لفرانسيس بيكون الذي جاء من
بعده - الحق في أن يُنسب إليهم الفضل في ابتكار المنهج
التجريبي ، فلم يكن (روجر بيكون) إلا رسولاً من رسل العلم
والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو نفسه لم يمل -
قط - من التصريح بأن تعلّم معاصريه - في أوروبا - اللغة
العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقّة » .

ويقول في مكان آخر من كتابه :

« ولقد كان (العم) أهم ما جادت به الحضارة العربية على
العالم الحديث » . .

ويقول أيضاً :

« ولم يكن (العلم العربي) وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة .. بل إن مؤثرات كثيرة من الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية »

ويستخلص المؤلف فيما يتعلق بعرب وعالم للمنهج العربي - من أثر فيما يتعلق بالحضارة الحديثة .

لا أريد أن أطيل في قراءة نصوصه ، وهي كثيرة ، لكنها شئت أن هذا المنهج التحريبي إنما هو منهج يدى قامت عليه الحضارة العربية ، وأن أوروبا إنما أحدثت من العرب ، ولم تتدعه انتداعاً ، ولم تكتشفه اكتشافاً .

هذا فيما يتعلق بالمنهج أما فيما يتعلق بالموضوع ، فإن المؤلف الذى ألف هذا الكتاب والذى تحدثنا عن بعض آرائه نقور فى صراحة لا لس فيها :

« موضوعاته ، إنه ليس مدياً فى المنهج فحسب ، وإنما فى الموضوعات أيضاً » . .

ومما هو معروف أنه كان فى الحضارة الإسلامية أفذ د فيما يتعلق بالعلم لطبيعى كس هك «ابن الهيثم» وكتابه فى البصريات وفى الأضواء .

ويرى كثير من المؤرخين بالحضارة الأوروبية أن كتاب يكون نفسه فى حرارة وأصواء ما هو لا يسحه من كتب ابن الهيثم فى البصريات .

كان عبد الله الهيثم و كان عبد الله الرازي وابن سينا في
الطب، و كان عبد الله جابر بن حيان فيما يتعلق بالكيمياء ، و كان
عبد الله الكندي فيما يتعلق بالرياضيات .

كان عندنا كل هؤلاء العلماء الأقدماء الذين تعرف لهم أورا
بالتعريف . حتى الآن . فيما يتعلق بمسئلتهم بحريبي القائم على
الملاحظة وعلى التجربة

وفيما يتعلق بالموضوعات التي تطرقوا إليها واستشعروا منها
التي لا تزال لها قيمتها حتى الآن

هذا الموضوع . موضوع الطبيعة . إذا أردنا التعبير الإسلامي
عنه ، إنه على حد الكلمة التي أطلقها الشيخ محمد عبده ، وهي
الكلمة التي تعبر التعبير الصحيح الإسلامي : **سُنُّ الله الكونية** .

ف طبيعة ، وقوانينها ، واكتشافاتها ، وموضوعاتها ، يكون
البحث فيها إما هو البحث في سن الله الكونية ، واكتشاف
قوانينها إنما هو اكتشاف لسن الله الكونية .

هذا « الخاب المادي » من الحصة ، إنه جانب إسلامي في
موضوعه ، جانب إسلامي في منهجه .

إنه - منهجاً وموضوعاً - ناحية إسلامية

على أن الإسلام قد حثنا على كشف سُنَّة الطبيعة

إن الله سبحانه وتعالى أمر عبده في القرآن به مسخر لنا
والأنهار ، ومسخر لنا الأرض ، ومسخر لنا السماء ، ومسخر لنا

الكواكب ، وسحَّر لنا القمر ، وسحَّر لنا الشمس ، وسحَّر لنا لكون كله .

لقد سحَّره بالإنسان وهو بهذا الامتنان يطلب من الإنسان أن يحوِّب القضاء ، وأن يغوص في الماء ، وأن يخترق كل المعمَّات في هذا الكون حتى يتسَّي له الإيمان والإقرار - في حضوع ، وفي خشوع - بعظمة الله العظيمة وهيمنه هذه التي لا يدُّ عنها شيء في هذا العالم المسحَّر .

تتَّع آيات الله سبحانه في الأفسر وفي الآفاق ، كل هذه دعوة إسلامية . . وتتَّبع آيات الله ، وانتسحير ؛ لا يتأتَّى إلا عن طريق الملاحظة وعن طريق التجربة ، منهج التجريبي ، لمنهج الحديث ، هذا هو منهج الإسلام . .

ويدعونا الإسلام أيضاً إلى أن نكون في هذا الحاسب المادي أقوى ما نكون :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (١) .

والاستطاعة لا تكاد تُحدَّد ، وكلمة وصل الإنسان إلى حد من الاستطاعة تفتحت أمامه آفاق استطاعات جديدة يجب عليه أن يلحَّح ، فهو في كل أونة مُتَرَقٌّ في عالم الطبيعة ، وهو في كل أونة مُتَبَّعٌ لهذه القرائن ، مُتَرَقٌّ فيها ، حتى يصل دائماً في القمة ، حتى يكون مركزه - دائماً واستمرار - في القمة من القوة المادية .

(١) سورة الأنعام ٦

وإذا كان المسلمون قد تأخروا في هذا الجواب فليس ذلك دسب القرآن ، ولا دسب الإسلام ، وإثم هو دسب بكاسهم وحمولهم .
وهم بهذا لتأخير اثمون إسلامياً ، إثم اثمون في نظر الإسلام وفي نظر القرآن الكريم ، فهم أصحاب دعوة ، والقرآن أعدّهم - من قديم - بهذه الدعوة .

هم أصحاب رسالة ، وأصحاب الرسالات إن لم تكن عندهم القوة القوية ، إن لم يكن عندهم السلطان المسيطر ، إن لم تكن عندهم السيطرة المتحكمة من أجل الخير ، ومن أجل العدل ، ومن أجل الحق . إن لم يكن عندهم هذا فإن رسالتهم تستمر حبراً على ورق . .

ولم تُرد الإسلام أن تكون الرسالة الإسلامية ، أو أن تستمر الرسالة الإسلامية حبراً على ورق . .

فالإسلام يدعو المسلمين إلى أن يكونوا أقوى دولة في العالم ، فإذا ما ضعفوا كانوا أئمة (في نظر الإسلام) كانوا أئمة ، وكانوا مقصّرين في حق رسالتهم التي كلّفهم الله سبحانه وتعالى بها .

إنها آخر الرسالات . . إنها الرسالة الأبدية . إنها الرسالة لدائمة ، ولابد من قوة دائمة في هذا بعلم تسندها . وإذا لم

تكر هذه لقوة فلي يكون هذه الرسالة - من التأثير ومن العمود -
ما يريده الإسلام منها ومن أصحابها

لحسب المادى - إذن - حاسب لإسلام ، وما علب إلا متبعه
لإسلام فى هذا الطريق بكر وسيلة محكمة ، وبكل حريفة تتيسر .
ولا يقال - إذن - حينما نسير فى الحصار المادية مكتشفين
ومخترعين ، ومتسّين الاكتشافات والاحتراعات - إننا أوجدنا عن
الحصار الأوربية ، وإعما يفرد إبتدعنا خصوات التى تابعها
وسار فيها أسلافنا وإذ كد فى هذا المحل يستعين بهذا أو
ذاك فى هذه الاستعانة ليس بعدى أخذ من حصاره ، لأن هذا
الحاسب لا لون له ، أى أن الرقى المادى لا لون له .

لا يقال : هذه لكمياء ألماسة ، أو فرنسية ، أو إنجليزية .

وإعما هى الكيمياء ، أيسم كست ، وأينما وُجدت ، لا تسم
بلون . . .

فإذا استعنا - بهذا أو بذاك - فى سبيل منبذعه أسلافنا فما
يتعلق بهذا المجال فلسفنا بتبعين وإعما نحر نواصل هذه
المجهودات اتى بدأها أسلافنا ، وانقطعنا عنها فترة ، ونريد ان
نعود إليها من جديد .

* * *

٣. الشطر الثاني من الحضارة: الشطر الثقافي

ويأتي بعد ذلك القسم لآخر من أقسام الحضارة الأوربية وهو القسم الثقافي . .

وهذا القسم الثقافي نبتدى فيه بشيء من تاريخ الإسلام نفسه، أو ببعض الحوادث التي حدثت في ربوع الإسلام، فمن أول هذه الحوادث التي نلاحظها من رواه لفظ «أبو يعلى» من أن الرسول ﷺ رأى مرة ورقة في يد سيدنا عمر، فقال له: «ها هذه الورقة؟»

فقال سيدنا عمر: إنها من أتوراة وعصب الرسول ﷺ، وقل:

«لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَتْهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»

تعبير صادق: ما حلَّ له إلا اتناعه

وسير مع التاريخ، فرى سيدنا عمر بن عبد العزيز يرى أن حاجة المسلمين إلى الطب حاجة ماسة لكنه أحد يتحدث إلى نفسه:

- هل ذلك مُباح ؟ . .

- هل من المباح أن يُترحم كتاباً من كتب الطب ؟ .

هل يجوز له أن يفعل ذلك ؟

هل يحور له أن يعمل عملاً لم يعمل به رسول الله ﷺ ؟

ويستحير الله في ذلك ، وينتهي به الأمر إلى أن يترجم كتاب الطب ، ولم يَرأساً في ذلك . .

وكتاب الطب كتب من كتب احصارة المادية ، أو كتاب من الكتب ذات لطبع لمادى ، ولا بأس أن يُترجم كتاب من هذا النسق ، أو أن يتابع ، أو أن يقتبس منه ، أو أن يؤخذ في الحو الإسلامى من مبادئه .

وتسير الحياة بالمسلمين هادئة في جوانبها احصارية إلى أن يأتى العصر العباسى وتبدأ الترجمة

وانترجمه لم يعترض عليها معترضٌ ؛ فيما يتعلق بجانب الطب ، وجانب الطسعة ، أو بجانب الكيمياء .

ولكن المسلمين - فى أول العهد العباسى - كانوا باقرين كل المور من أن تترجم كتب وراء الطبيعة ليونانية ، فإن ما وراء الطبيعة تعنى الأبحاث التى تنصل بالعقيدة

وقال المسلمون و'جمعوا على أنه إذا كانت عقيدة ايوان حقاً فعديا ما هو أحقُّ منها ؛ وهو القرآن الكريم ، وهو بالأسلوب الإلهى الذى لا يأتىه باطل من بين يديه ولا من خلفه .

وإذا كانت باطلاً فإننا فى غنى عنهم . . وكذلك كان شأنهم وموقفهم فيما يتعلق بالأخلاق كانوا يعنزون بأخلاقهم ،

ويعتبرون بعصبيتهم لعقيدتهم وأحلاقهم المنزلة الموحدة إلى
درجة أنهم لا يرون أب يكون هناك أى كتاب ، أو رأى ، يهوم
بجوار هذه المبادئ الإلهية الإسلامية ، سواء أكانت عقيدة أم
أخلاق . . . ولم يترجموا كتب الأخلاق إلى أى لغة «المأمون» . . .

والمأمون . . . تربيته الفارسية . كان عنده من التهاون القليل ، أو
الكثير ، ولم يكن عنده من التحرج ما كان عند غيره ، فأمر
بترجمة الكتب التى تنصل بما وراء الطبيعة ، والكتب التى تنصل
بالأخلاق . . . وقام بترجمة هذا على الرغم من السوء العام من
المسلمين المؤمنين المتدينين .

وترجمت كتب ما وراء الطبيعة ، وترجمت كتب الأخلاق ،
على الرغم . . . وعلى نُصُور . من هؤلاء الذين يرون أن العقيدة
الإسلامية يجب ألا يكون بجوارها شىء آخر ، وأن الأخلاق
الإسلامية يجب أن تكون مستقلة لا يكون بحوارها شىء ،
ولا تُدَسَّس ، ولا تتلوَّث بما يُتوَهَّم أنه حق بجانب الحق .

لكن الترجمة . ترجمة ما وراء الطبيعة . أحدث مجالها ،
وترجمة الأخلاق أحدث مجالها ، بل أصبحت مألوفة ،
وأصبحت وكأنها شىء عادى . . . وليست ترجمة الأخلاق ،
وليست ترجمة ما وراء الطبيعة أقل شأناً . فيما يتعلق بالجو
الإسلامى الصحيح . من الورقة التى كانت سد سبيلنا عمر

إن العقيدة الإسلامية ، والأخلاق الإسلامية ، هي التي تكون
ذاتية المسم . أى أن ذاتية الأمة الإسلامية لا تتكون كيميائية
أمريكية لأن الكيميائي - كما قلنا - لا لون لها ، ولا تتكون طبيعة
ألمانية أو إنجليزية أو .. لأن لطبيعة لا لون لها .

حقيقة أنه لا بد من الكيمياء ، ولا بد من الطبيعة - كما قلنا -
للقوة ، وللعلة ، وللسلطان ، وتأتي الرسالة من أجل الحق
والخير .

إن الذي يكون ذاتية الأمة إنما هو اللون الثقافي فيها ، وقد رأينا
موقف الرسول ﷺ وموقف المسلمين الأوكر منه . .

وعلى أى وضع ، إذا نظرنا إلى هذه الثقافة في نفسها - الثقافة
النظرية - وهذا هو الحجاب لدى أهتم به كثيراً ، وأريد أن أسه
الأذهان من حديد إلى أننى أتحدث عن ثقافة لا تتصل بالملاحظة
ولا بالتجربة ، أى أنها ثقافة ليست حسية

أتحدث - إذن - عن الثقافة النظرية السحرة ، عن الفلسفة ، عن
الأخلاق ، عن هذا الجانب في «علم الاجتماع» الذي لا يتصل
بالملاحظة والتجربة ، عن هذا الحجاب في «علم النفس» الذي لا
يتصل بالملاحظة والتجربة . عن هذه الحجاب في «علم»
وفي أى «موضوع» الحجاب التي لا تتصل بـ «التجربة»
و«الملاحظة»

إن التجربة تتحكم فتكون فيصلاً فيما يتعلق بالحق والخطأ،
لكن المجالات النظرية السحنة ليس بها هذا القيد الذي يفرق بين
الحق والباطل .

ما وراء الطبيعة مجال نظري سحت، وهو يختلف من فرد إلى
آخر ويتعدد بعدد اختلاف الأفراد إذا حدثنا للمجو اليوناني
فإننا نجد أن أفلاطون فيم يتعلق بتصوُّر (لإله) يختلف عن
أرسطو ، وتصوُّر أرسطو يختلف عن تصوُّر الرواقيين ، وتصوُّر
الرواقيين يختلف عن تصوُّر أبيقور أو الأبيقوريين
يصوُّر أفلاطون الإله على أنه مثلٌ سحير على رأس المُثُل ، أو
مثالٌ للجمال على رأس المُثُل . .

ومع أن أرسطو من مدرسته فإنه يصوُّر الله سبحانه ونعاسي
بصورة أخرى . . ويرى أنه المحرك الأول ، وهذا المحرك الأول
ليس هو الذي يحرك العالم ، وليس هو الذي خلق العلم ، وليس
هو الذي صوَّر العالم وكونه ، بل إنه لا يعلم عن العالم شيئاً
مطلقاً لا يعلم عن العالم شيئاً ، يستوى في ذلك التافه من أمره
و لعظيم منه . . إنه لا يعلم حتى محرد وجود العالم .

وتأتى الرواقية : فتري لله . سبحانه وتعالى . يمتزج بالكون
امتزجاً كاملاً ، فهو سرُّه ، وهو في كل درة من دراته ، وفي كل
خلية من خلاياه

ويأتى أبيقور . . ويقول : لس هناك شيء اسمه «الده» .
وليس هناك إله .

وتختلف هذه المدارس باختلاف أفرادها وباختلاف رؤسائها . .
وقبل أن نستمر في شرح موضوع هذه الثقافة النظرية البحتة ، قبل
أن نستمر فيها طويلاً . . أريد أن أتحدث عن قصة لها مغراها
لعميق كى تكون أمام أنظارنا حينما نصرب الأمثال فيما بعد ،
هذه القصة برويها مؤرخو الفلسفة اليونانية .

اجتمع سقراط ثاثير من الفيثاغوريين - من كبار فلاسفة
«الفيثاغورية» - أحدهما سمه «سيمياس» ، وكان من كبار
لفلاسفة . اجتمعوا يتناقشون فيما يتعلق بخلود الروح : هل هى
باقية بعد الموت ؟ . . هل هى مسنمرة ، أم أنها فانية ؟ هل
لإنسان حينئذ يموت ، يموت مادةً وروحاً ، أم أنه يموت مادةً فقط
وتبقى الروح ؟ . . وهل الروح خالدة ؟ . .

كانوا يتحدثون فى هذا الموضوع ، ويحاولون - ما استطاعوا - أن
يقيموا الأدلة على خلود الروح ، على أنها باقية بعد الموت . ثم
نتهى بهم الأدلة ، وينقطع بهم الزمان

يقول سيميس لسقراط :

إن الموضوع ما زال فى حاجة إلى بحث أكثر ، ولكن هذا جهد
العقل ، وهذا غاية ما يستطيعه العقل .

ووافق سقراط ثم يقول متأسفاً :

إن العقل في مجال ما وراء الطبيعة مثله مثل لوح من خشب ، يريد الإنسان أن يقطع به البحر في يوم عاصف ، أما مثل الدين بالسنة لما وراء الطبيعة فإنه المركب الأمير يقطع البحر .

ويأسفون جميعاً على أنه لم يزل دينٌ يحدد الموضوع تحديداً تاماً ، يحدد مسألة حلول الروح ، ويعترفون بأنه لو كان قد نزل دينٌ يحدد هذا الأمر فإنهم كانوا يستحيون إليه ، ويؤمنون به ويسسلمون ، وتهدأ نفوسهم فيما يتعلق بهذا الأمر .

لا حدل أن نقاش العقل في محط ما وراء الطبيعة لوح من خشب لقصع البحر ، ولكنه في حقيقة الأمر - لوح من خشب في كل علم نظري ، لا مجال للتجربة ولا لملاحظة فيه .

ونخذ أي مادة من المواد النظرية ، نحد ما وراء الطبيعة ، نحد الأخلاق ، نحد الشريعة ، نحد هذه الواحي الكثيرة المتعددة التي سُميت بأسماء علوم مختلفة ، وهي كلها نظرية ، فإنك ستحد العقل دائماً هو لوح الخشب الذي لا تنأى أن يقطع به الإنسان البحر ، مهما احتوى ، ومهما كان يحاول أن يحو بهذا اللوح .

والفلسفة فيما يتعلق بالعالم الحديث ، كل فلاسفة العصر الحديث مختلفون على أنفسهم ، ليس بينهم فيلسوف واحد يتفق مع الآخر ، ولا لما كان في حاجة إلى أن ينشئ فلسفة جديدة لو اتفق مع زميله .

ومعنى الفلسفة أنها ابتداء دِين بحوار الدين أو عقيدة بجوار العقيدة . كذلك الأمر فيما يتعلق بالأخلاق ، إنها على هذا السَّق ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالتشريع : إنه على هذا السَّق ، وإذا تُرك التشريع للعقل فسيكون هناك الاختلاف ، وإذا تُرك ما وراء الطبيعة للعقل فسيكون هناك الاختلاف أيضاً .

والمُخْرَج أن نصدر - فى كل هذه الأمور - عن الدين ، ولا محل لرأى آخر ، إذا أحصنا . لابد من أن نعتمد على الدين فى هذه المجالات الثلاث :

* مجال ما وراء الطبيعة .

* مجال الأخلاق .

* مجال التشريع .

هذه « المحالات » ناتئة فى الدين . . مستقره . لا يقبل لتطور . محل العقيدة لا يقس التطور ، العقيدة هى هى . لا تختلف العقيدة الدينية لإسلامية من بيئة إلى أخرى ، ولا من قُطر إلى آخر ، ولا من زمن إلى زمن ، ولا من مكان إلى مكان . . ولا تختلف الأخلاق الإسلامية . أيضاً . من بيئة إلى أخرى ، ولا من مكان إلى مكان ، ولا من زمن إلى زمن ، فهى هى .

وإذا كان الموقف على هذا النمط فى العقيدة والأخلاق ، فهو كذلك فيما يتعلق بالتشريع . . ؟

* * *

٤- ما يتعلق بالتشريع

أما فيما يتعلق بالتشريع فهو كثيراً من الناس يعتقدون أن التشريع الإسلامي متطور، ولكن التشريع مبادئ ووسائل. وقد بترك الإسلام بعض وسائل غير محددة، وتركها للبرلمان. ولكن النتائج أو اغايات هي هي.

مثلاً - مبدأ الشورى، لم يحدد وسيلة الإسلام. . أي أن الشورى نفسها مبدأ إسلامي ثابت، ووسيلة الشورى لم يحددها الإسلام، وتركها للبرلمان، وتركها للأفراد، يحددها عن طريق البرلمان، أو بأي طريقة أخرى. يحددها كيفما شاءوا. لكن العايات، الهيئات، المبادئ، قواعد.

ويتساءل كثير من الناس

وما شأن الاجتهاد إذن؟ . . .

واقف أن هذا الخاب يصل فيه كثير من الناس، أو يزل فيه كثير من الناس.

الاجتهاد في الإسلام معناه أن يحاول المجتهد ما استطاع، وأن يحاول ما أمكنه، وأن يربط بين حادثة حدثت جديدة، وبين قاعدة إسلامية موجودة. أو أن يدخل في نطاق فقه إسلامية عامة حادثة من الاحداث التي حدثت جديدة. . .

فليس الاجتهاد - إذن - ابتداعاً ، أو اختراعاً ، أو تطوراً . ليس فيه شيء من هذا القليل ، وإنما هو محاولة حاهدة ، كدحة ، دئنة ، مستمرة ، للوصول إلى ما كان عليه الرسول ﷺ ، وما كان يمكن أن يكون رأى الرسول ﷺ لو كان الرسول موحوداً .
« إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي » قاعدة تنقُض كل شبهة من الشبهات التي ترمى إلى أن الاجتهاد إنما هو ابتداع أو اختراع ، أو هو شيء من هذا القليل . .

فليس - إذن - في الجانب الإسلامي تطور . . أقول هذا لأنه من أخطر الأمور على العقيدة الإسلامية ، وعلى الحو الإسلامي ، الفكرة التي تسود في كثير من الأوساط ، والتي هي سائده في الثقافة الأوروبية الآن . . أعني : فكرة « التَّصور » ، وفكرة التَّصور تتناسب مع الثقافة في أوروبا .

والثقافة في أوروبا - الثقافة اسطورية التي لا تتصل بالتحربة أو بالملاحظة - الثقافة النظرية في أوروبا متطورة ، وهذا حقيقي .

متطورة لأنها بشرية . وكل ما هو بشري من نتاج العقل البشري فإمما هو سببي ، وهو - إذن - متطور ، إنه نسبي متطور ، وقد يكون هذا لتطور تطوراً إلى القديم ، لا تطوراً إلى شيء جديد . .

يعني مثلاً : مذهب الوجودية الحالي الذي يقال إنه مذهب

حديد كل الحدة إنما هو مذهب السوفسطائية لقديم، لا أكثر ولا أقل .

إنه المذهب الذى يرى أنه ليس هناك حقيقته مطلقه . . وإنما الإنسان كيف نفسه، وبوجه نفسه . . وهو ليس فى هذا إلا فرداً من الأفراد له رأيه الخاص ولذلك لا يفرص رأيه على الآخرين لأنه ليس هناك حقائق مطلقة . . فهو عودة إلى المذهب القديم - مذهب السوفسطائية القديم - المذهب الذى لَفَطَتْهُ كل البيئات السليمة . .

ومذهب الوجودية - فى الحقيقة و لواقع - تلفظه كل بيئة سليمة، وكل بيئة صحيحة إنه لا يسود إلا فى البيئات المريضة التى لا ترى ورأى للمعالم الأخلاقية، ولا للدين، ولا للحقائق المطلقة . .

وترى أن الإنسان يكون نفسه من الألف إلى الياء مستقلاً عن التقديد، وعن الدين، وعن الحقائق، وعن كل شيء فى المجتمع . .

فكرة التطور نشأت مع داروين، وكانت لها شهرة قوية فى أوساط أوروبا وفى أوساط الشرق، ولكن هذه الفكرة نفسها - باعتراف كل العلماء - فيها العجوات التى تجعلها ظيئة، لا بقينية . . إنها فكرة ظيئة لم تصبح يقيناً . وكثير من العلماء هاجمها

وعرَضَها وأقام لأدلة على انهيارها . ولكنها مع ذلك سادت
في بعض الأوساط الشرقية، وأصبحت الآن . وهذا هو الخطر
الذي يحذر منه . نرى كسباً بأقلام المسلمين ، وبأقلام المفكرين
الكبار تقول بفكرة التطور وكأنها حقيقة موحودة

وما من شك في أن هناك لتطور مادي . لا ينكر ذلك أحد .
هناك لتطور من المصحف إلى وأبور العار إلى اليسوع حار ، وهناك
لتطور من لسيارة إلى الطائرة . إلخ . هناك التطور المادي ،
لا ينكر ذلك أحد إطلاقاً . ولكن هذا التطور المادي لا دخل له
مصفاً ولا شأن له مطلقاً بتطور العقل من حيث هو عقل الإنسان .
إن الإنسان من حيث هو إنسان لم يتطور عقبيه من حيث هو
عقل ، لم يرد ، لم يكن . مثلاً - عشر درجات ثم أصبح خمسين
درجة وما شاكل ذلك . .

الإنسان لم يتطور إلى كائن آخر ، إنه ما زال هو الإنسان الذي
وُجد منذ عهد « آدم » إلى الآن . ولكن من المؤسف أن بعض
المفكرين الإسلاميين يسиров في الأمر وكأن « لتطور » حقيقة
واقعية ، وكأن « التطور العقلي » حقيقة واقعة . وكأنه يقين مطلق ،
وفي هذا خطورة كبيرة .

أضرب مثلاً للخطورة حينما تدخل فكرة التطور في مسائل
الدين :

إن أحد كبار المفكرين الإسلاميين - وله شهرة دائعة في الحو
الإسلامي - حينما أراد أن يفسر القرآن !! وحين أراد أن يفسر
قصة سيدنا آدم وحلّق سيدنا آدم ، وأمر الله - سبحانه وتعالى -
الملائكة بالسجود له . . وكان في ذهنه فكرة « التطور » . . وأن
الإنسانية بدأت بكدا وكذ . . وأن آدم ليس هو أول الإنسانية
مباشرة ، يعنى أن الإنسانية لم تبدأ بآدم مباشرة ، كان هي ذهنة كل
ذلك ، فلما جاء يفسر القرآن - مباشرة - ويفسر قصة آدم ، فسرها
على أنها تصوير ، مجرد تصوير ، مجرد تمثيل ، مجرد قصة .

لماذا ؟ . . مجرد تمثيل . . لماذا ؟ . . مجرد تصوير . . لماذا ؟ . .
ليخرج من فكرة التطور ، وحتى لا يلتزم بقضية أن « آدم » إنما هو
أول البشرية حقاً ، أول البشرية مخلوقاً حلفاً جديداً ، مُشأً من
الله سبحانه وتعالى ، سواه سديه ، ونفخ فيه من روحه . .

وإذا كانت قصة آدم تمثيلاً ، وإذا كانت تصويراً ، فلا يبقى شيء
في القرآن لا يمكن أن يؤوّل .

وإذا أولّنا قصة آدم ، إذا أولّنا قصة سجود الملائكة ، إذا أولّنا
كل ذلك - وقد ذكرت في القرآن عدة مرات - إذا أولّناها فإنه لا
يبقى في القرآن أو في لإسلام شيء لا يمكن أن يؤوّل . . وفي
تأويل كل شيء القضاء على لإسلام .

- وعلى هذا ففكرة « التطور » يجب ألا تدخل في المحيط

الفكرى الدينى للمسلمين ، وكل من أَدخلها فى المحيط الفكرى
الدينى الإسلامى إنما يصير الإسلام ويكون خصباً على الإسلام
أكثر من العدو العاقل . هذا الصديق الجاهل يكون خطراً على
الإسلام أكثر من العدو العاقل ، وهذا مثل - محدد مثل - من
الأمثلة الكثيرة .

وعلى كل حال فإن الكتب الحديثة نجدها دائماً قائلة بفكره
التطور ، وأن الإنسانية تطورت ، وأنها . . . إلى آخر كل هذه
الخواص التى إذا أدخلناها فى محيط العقيدة ، أو أدخلناها فى
محيط الأخلاق ، أو أدخلناها فى محيط الدين ، فإنها تجعل من
الدين مجموعة من المبادئ النسبية ، ومعنى مجموعة من مبادئ
النسبية : أنها ليست حقائق مطلقة ، وأنها يمكن أن تتطور وتتطور
إلى اللانهاية . . . وبأتى يوم من الأيام وقد انفصل عن الدين وعن
المبادئ الدينية . . . الانفصال الكامل .

فكرة التطور - فيما يتعلق بالحضارة الحديثة - قام بها داروين ،
ويعترف اليهود أو يعترف الصهيونيون فى كتابهم وفى مبادئهم
«بروتوكولات حكماء صهيون» . يعترفون بأنهم هم الدين
وصنعوا داروين فى الأفق ، على المنصة ، وهم الذين أعدوا عنه ،
وهم الذين أذاعوا فكرته ، وهم الذين حذوها ، وهم الذين
نشروها فى كل مكان ، وذلك لأنها تقوض الأديان من أساسها ،
وهى مع ذلك - كم قسا - فكرة ضيقة ، وكلما تقدمت أرمز بها
وكلما تقدم العهد بها ، ازداد الشك فيها .

انتفاة اأءءةة؁ أو اأءارة اءءةة؁ فف آاسها؁ لثقافف؁ إءا
ر آاس بها فف ذلك بعء من الآآب الةف آآآب شففاف فشفاف الفكة
الإسلامفة . .

وإنه لمن المعقوف أسا- وعءءا القرآن وعءءا أسنة؁ وقء طفق
القرآن وطففت السنة فكان ارءهار الأمة الإسلامية؁ من المعقول
أن بصر فف ثقافتنا عن ءفة اسلامفة؁ عن قرآن وسنة وكل
هءا أبرف ففما فعلق بالآصاره اءءةه فف آاسه الثقافف فآب
الآ فآءعنا

مثلاً- الآرة والمساواة .

من العرفب أن الأورففف أنفسهم من كبار المفكرفف فف أوربا
نفسها فرون أن هءفن المباءفن معارضان . .
فرون أنه إءا وءءت «آرة» فلا مساواة وإءا وءءت
«المساواة» فلا آرة .

فرون التعارض فف المباءفن؁ وأهمافا لا فآتمعاف؁ لأنه إءا
وآءب المساواة فكف تنأفف أن فوآء الآرة؁ وإءا فرصت
المساواة عرضاف فكف تنأفف أن فوآء آرة؁ وإءا فرصت آرة
فرصاف فكف تنأفف أن فوآء المساواة . .

امباء الإسلامف : الأخوة - مءأ سفف لا عمار عفه؁ ولا
اعترض عفه . فآب الآنصع بفوار الأخوة مباءف معارصة
فراها الأورفففون أنفسهم معارصه؁ وفلا آطون هءا التعارض .

ويرفضون أن تكون هذه المادئ حوار بعضها ، تكون وحدة ،
وتكون شعاراً ، ثم نأتى نحن فمأخذها ..

- ثم إذا جئت إلى المساواة وقلت: أين هي ؟..

إنها لا تتأتى أن توجد مطلقة فى قُطر من الأقطار ، ولا فى بلد
من البلاد ، ولا فى أسرة من الأسر ..

ويقولون : ولكن نحن لا نقصد المساواة المطلقة ، وإنما نقصد
المساواة فى الحقوق والواجبات .

إذا قلنا إن الشعار الإنسانى «لا مساواة إلا فيما يتعلق بالحقوق
والواجبات» كما - إذن - صادق ، ويكون هذا أصدق .. يكون
هذا أصدق لأن مبدأ اللا مساواة هو المبدأ السائد ، وهو المبدأ
الإنسانى السائد فیم عدا الحقوق والواجبات

إن اللا مساواة هى الموحودة فیم عدا الحقوق والواجبات ، بل
الحقوق والواجبات فى نفسها ليس فيها مساواة .

- ثم إذا جئت إلى الحرية، أين هي ؟ ..

إن الإنسان ليس حُرّاً فى اختيار الاسم الذى يتسمّى به ، ولا
فى اختيار الدعة ، ولا فى اختيار نمط الملابس ، ولا فى اختيار
طريقة الركوب ، وطريقة السير . ثم إنه ليس حُرّاً فيما يتعلق
باختيار الطريق الذى اتعه فیم يتعلق بالمدرسة ، وفيما يتعلق
بالتربية ... إلخ .

لست حرّاً في طريقة الأكل ، ولا في طريقة الشرب ، ولا في شيء من هذا . . إذا قلت إن تسعمائة وتسعة وتسعين في الألف من الأشياء لست حرّاً فيها تكون صادقاً .

إذا قلت أو فسّرت الحرية بأنها « حرية فيما لا يضر الغير » أيضاً لا تكون الفكرة صادقة . .

الحرية فيما لا يضر الغير أيضاً ليست موحدة ، لنفرض مثلاً أن شخصاً من الأشخاص - وليكن طالب علم مثلاً - ذهب إلى الكلية وهو سائر للعودة فقط - يعنى من الركة إلى السُرّة - وذهب إلى الكلية على هذا النمط . إنه - ديباً - لا عذر عليه ، وهذا لا يضر شخصاً آخر ، ولكنه مع ذلك لا توجد فيه هو نفسه حرّاً لأن يفعل ذلك ، فهو ليس بحرّاً في أمر يبيحه الدين ، ولا يضر الآخرين . .

أى أن الحرية والمساواة كلمات جوفاء ، في حقيقة الأمر ، لا معنى لها معنى حقيقياً محدداً فيما يتعلق بالأفهام .

إن كل كلمة مهمما لا تُصدّو وليس لها حقيقة واقعية ، ومع ذلك تُشيد بهما كأنهما من اختراعات الغرب الكبرى التي لها المثل الأعلى فيما يتعلق بهذه الحضارة الغربية الحديثة .

إن الحضارة الغربية الحديثة فيها من أمثال ذلك أشياء كثيرة يحب أن تنته لها . .

ومن هذه الأشياء - في احاطت الثقافي أيضاً - ما يقال من أن
«اعلم للعلم» ، أو «الأدب للأدب» ، أو «الفن للفن» كل هذه
لها خطورتها فيما يتعلق بالأحواء الإيمانية .
في حو الإيمان لا يتأتى مطلقاً أن يكون «لأدب للأدب» ، وإعما
الأدب للأحلاق ، للفضيلة ، لتربية الفطر ، لإثارة الشعور الديني
للكريم لكن هذه لمعاني . . أما فكرة «الأدب للأدب» فيه لا
يستسغها مطلقاً عقل أو قلب مؤمن .

كذلك فيما يتعلق بالفن للفن «الفن للفن» معه أنك ترسم
الصورة المعارية كما شئت ، أو ترسم بصورة التي تثير العرائر كما
شئت . . «الفن للفن» أيضاً فكرة لا يتأتى للمؤمن أن يقول بها ، أو
أن يمتدحها ، أو أن يتناها شعاراً له

هذه اسواحي كلها ، وكثير غيرها - فيما يعنى بالثقافة العربية
الحديثة - ثقافة النظرية - يجب أن نكون بعيدين عنها كل البعد ،
وأن نتبع في هذا الحاسب الإسلامي وحده ، محله الأساس ، بحسبه
المصدر الموجب .

إن هذه الآراء الثقافية النظرية الحديثة هي - كما يقول أحد كبار
المفكرين في أوربا - مشها كمش «الموصة» وأرياء الساء ، تتدل
من عام إلى عام ، ومن فترة إلى فترة

إن «موصه» هذا العام هي عدم النص - مثلاً - هي كذا ، هي
نظرية فلاان ، أو هي نظرية فلاان . و«الموصة» هي لعدم النص -

أو في العام لماضي - نظرية أخرى . وهكذا الامر فيما يتعلق
بالمسألة ، أو فيما يتعلق بالتشريع . . . إلح

هذه لوائح كلها تجعلنا حذرين فيما يتعلق بالقسم الثاني من
احصارة الحديث ، بل يجب أن نكون بعيدين عنه كل البعد ، وأن
نصدر عن داتية إسلامية ، وعن مبادئ إسلامية ، وعن قاعدة
إسلامية ، وعن حو إسلامي .

و ستبحث التي أريد أن أنتهى . بها من هذه المحاضرة . وهي
الخاصة ، إنما هي العودة إلى الإسلام

العودة إلى الإسلام . ملاحظة وحكمة ، مهجاء وقوة مدية .

﴿رَأْعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (١)

العودة إلى الإسلام من تسخير الأرض وتسخير السماء
وتسخير ما بين لأرض والسماء . وتسخير الكواكب ، وتسخير
الشمس والقمر . . وتسخير البحار والأنهار .

* العودة إلى الإسلام أقوى ما تكون هي الجانب المادي .
* والعودة إلى الإسلام والاعتزاز بالإسلام أقوى ما يكونان
في الجانب الثقافي . . سواء اتصل ذلك بـ «العقيدة» أو اتصل
ذلك بـ «التشريع» أو اتصل ذلك بـ «الأخلاق» .

* * *

(١) سورة الأنعام ٦

عن الفلسفة

- البشرية تسير في طريق الخطأ منذ *سقراط* .
- ليست كل دراسة فلسفة .
- محاولات التوفيق .
- الجو الذي نشأت فيه الفلسفة .
- سمات الفلسفة .
- منهج الفكر الفلسفي .
- خانمة في الفلسفة .

١. البشرية تسير في طريق الخطأ

منذ سقراط

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

إن أمر العقيدة، وأمر الأخلاق، وأمر التشريع، وأمر نظم مجتمع كل ذلك مرده إلى الله سبحانه وتعالى . . .
ومن أحسن ذلك أرسل الله سبحانه رسوله يبلغون عنه كلمة الحق في هذه المسائل .

واحق في هذه الأمور كلها، الحق الذي أتى به الوحي

١- لا يتناقض مع العقل، فليس فيه - مثلاً - أن حزن الشيء أكثر من كنهه.

٢- يفهمه العقل، لأنه سهل مُيسر

٣- يقبله العقل، إنه معقول.

٤- ولكنه ليس اختراعاً بشرياً وليس مرده إلى الاختراعات

البشرية.

١. سورة الحديد ٢٢

والعهد اليونانى إذن بوضعه أمور الدين (عقيدة وأخلاقاً،
ونشريعاً، ونظاماً للمجتمع) على بساط البحث العقلى، إنما
انفصر بذلك عن النظرة الدينية الصادقة.
ومن الحق أن نقول : إن «العهد اليونانى» كان له عذره فى
ذلك . . !

فقد كان لنايغور فيه أمام دين خر فى ، فاضطروا اضطراباً
إلى الالتحاء إلى العقل .
ولكنهم بمجرد أن بلغت الرسالة الصدقة ، كان يجب عليهم
مباشرة الأخذ بها فى صغائها وطهرها ^{١١} ولكنهم لم يفعلوا !
وصادف اتجاههم البشرى ، وبظرتهم البشرية إلى أمور الدين
هووى فى نفس بى الشر الدين رعب انكثيرون منهم أن يكونوا
هانطين مع الطبيعة البشرية غير مستجيبين إلى التوجيه الإلهى
السامى ، فسارت البشرية - فى كثير من أفرادها - فى تيارهم إلى
اليوم .

وكان من آثار ذلك : أن سارت الثقافة المطرية فى العقيدة
والأخلاق ، والتشريع ، ونظام المجتمع - عند كثيرين - فى تيارات
مفصلة عن الدين ، وخضعت لفكر البشرى ، وللطبيعة البشرية
فى نزواتها ونزعاتها ، فكان الأدب المكشوف ، والصور العارية ،
والتمثيل العارية ، وأفلام الجنس ، وكتب الجنس . وكان الإلحاد ،
وكانت المحاولات الدائنة لهدم الأخلاق ، وكان الانمصال عن

التشريع الإلهي، وكان كل ما يتنافى مع النظام الإلهي للمجتمع،
والذي أنت الشجرات الأولى لكل ذلك بما هو «العهد اليوناني»
حينما عبر محرى الأوصاع السليمة في العطر السليمة
وكان في فمه هذه الأحرار وضع مسأله وجود الله سبحانه
موضع البحث ومحاولة إخضاعها للاستدلال
ولا ريب في أن هذه العشرات من الأدلة العقيدة على وجود
الله بل المئات - منذ عهد «سقراط» إلى عهد «ابن سينا» إلى
رمن «ديكارت» . إلى الفترة الراهنة - هي من المسألة بحيث
لا يسع الإنسان إلا أن يسجل الشاء على هذا المجهود الضخم
المستفيض! . .

ولكن ذلك لا يفي أن هذا الطريق الذي سارت فيه البشرية -
منذ عهد سقراط - طريق خطأ في جميع رواياه!
وإذا كان هناك حديث في مسألة الاستدلال فإنه لا يكون شأن
الألوهية - إنها فطرية - إنما يكون بشأن النبوة .
ومن أجل ذلك يقول بن عطاء الله السكندري هذه الكلمات
الغريبة هي وجه كل من تحدته نفسه بمحاولة الاستدلال على
وجود الله تعالى :

« إلهي .. كيف يُسْتَدَلُّ عليك بما هو في وجوده مُفْتَقِرٌ إليك ،
يكونُ لغيرك - من الظهور - ما ليس لك حتى يكونَ هو المظهرُ
لك ١٤ .

مَنْ غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ ١٩... وَمَتَى بَعُدْتَ
حَتَّى تَكُونَ الْأَثَارُ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ ١٩

وإن عطاء الله السكندري ينهج في ذلك نهج القرآن الكريم ،
وينهج من نهج القرآن الكريم من ذوى الآفاق والبصائر المستبصره
وذلك أن القرآن الكريم لم يجعل من وجود الله - قَطُّ - مسألة
حدئية ولم يضع وجوده سبحانه محل شك يحتاج إلى استدلال ،
ولم يجعل من مسألة الوجود هدفاً من الأهداف التي تحتج إلى
مناقشة وإثبات .

وقد التمس الأمر على بعض الناس ؛ فصوّ، أن حديث القرآن
عن العناية باللسان ، وعن الحكمة في التقدير ، وعن العظمة التي
تتحلّى في محالات لبصر إنما هو حديث في إثبات وجود الله !
كلاً . . إنه حديث عن صفات الله الموجود ، عن حكمته ، عن
عظمته ، عن إبداعه ، عن تديره ، عن قدرته . وليس حديثاً في
إثبات وجوده ، وجدد سيدنا إبراهيم مع قومه ثم يكن لإثبات
وجود الله ، وإما كان بسبب بعض صفاته التي لا تنطبق على من
يعبدون من دونه . فيقول سبحانه .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِئَا أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي

فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى نَقْمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي
 فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى
 الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَهْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ
 مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ
 وَقَدْ هَدَانِ ﴿١﴾

استفاد من القرآن في ذلك ولكنه لم يتحدث عن إثبات الوجود
 بعد أن «العهد اليوناني» أحد في إثبات وجود الله عقداً
 وتابعه الإنسانية في الشرق والغرب، وسار هذا النمط على مر
 العصور ستة مسنوبة، وشريعة عدد من المشرقة، وهو عظم
 منحرف.

قد يقول قائل: ومدا في ذلك من بأس؟ إله استدلال
 عقلي مناصر.

فهل على الدس من ضير إذ ناصر مناصر يسر في تنازه؟
 ووجهة نظر هذه الروح عند لكثيرين، ولكنا نعارضها،
 ونعارضها معاً جميع الدس في الأحواء الصادقة الإيماء،
 المستنيرة البصيرة، وذلك لأمر، منها:

١- أن وجود الله يدهي، وما كان بدهياً لا يحتاج إلى دليل،
 وهذه «الدول» التي أخذت - منذ خمسين عاماً أو أكثر - نعم

(١) سورة لا مع ٧٤ - ٨

بمعاول من فساد على هدم الدين لم تستطع أن تنفذ إلى أعماق المؤمنين فتستجيب لمعاولها ، كلاً .. إنهم - رغم الهدم والدعاية، بل والسجن والتنكيل - ما زالوا مؤمنين.

٢- وأما الأمر الثاني - وهو الأمر المهم - فهو أنك إذا جعلت الاستدلال مشروعاً فقد جعلت في الوقت نفسه الإنكار مشروعاً وإذا أثبتت بعض العقول فإنك لا تعدم ندرة من الشواذ ينكرون ويستدلون عقيماً على ما أنكروا ، ويكون المستدل هو الذي فتح الباب لهذه الندرة من الشواذ ومن المنحرفين الذين غلبت عليهم أهواؤهم وتوهماتهم .

٣- والله سبحانه وتعالى أعلى من أن يحتاج إلى استدلال على مجرد وجوده ، وأقدس من أن يجعل مجرد الوجود في حاجة إلى استدلال ، وأجل من أن يضع وجوده على بساط البحث..

يقول سبحانه .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (١)

وقد يقول قائل :

- ومدا فعل مع هذه الندرة من أصحاب المطر شذرة ؟

وأمر هذه الندرة سهل إذا استحيينا للإسلام

والاستجابة للإسلام هي ذلك معاني البرام أمريس

الأمر الأول: اعتبار الدين من مقدساته التي لا تُمسُّ. إن كل دولة مقدسات. فالشيوعية مثلاً هي بعض الدول هي من المبادئ التي لا تُتقد، والدت الملكية في بعض البلاد لا يُحير القانون أن تُتاول بالنقد، والرأسمالية. كنظام اجتماعي. لا يحور هي أمريكا عمل دعاية ضده، ولا تُحيز أمريكا الدعوة إلى الشيوعية. وهكذا

وما دما. والحمد لله. مسلمين ودين الدولة هو الإسلام فإنه من النتائج التي تترتب على ذلك أن يُحرّم القانون مسّ المبادئ الدينية بنقد أو سخرية أو هدم. أم الأمر الثاني. ولا بد منه. فهو أن تُطبق الشريعة الإسلامية بالنسبة لمرتدين.

وبعد:

فإن الإمام الكبير، إمام الشريعة والحقيقة، تاج الدين بن عطاء الله اسكندري يقول معبراً عن رأي أصحاب البصائر المهمة: « شَتَنَ دِينَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ: الْمُسْتَدِلُّ بِهِ عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ، فَانْتَبَهَ الْأَمْرُ مِنْ وَجُودِ أَصْلِهِ. وَالْأَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.. وَإِلَّا فَفَتَى غَابَ حَتَّى يُسْتَدِلَّ عَلَيْهِ.. وَمَتَّى بَعْدَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصَلُ إِلَيْهِ».

* * *

٢- وليس كل دراسة

تسمى « فلسفة »

ونحن حينما نتحدث هنا عن لفلسفة فإنما نعنى : البحث
العقلى - البحث فيما وراء الطبيعة ، والبحث فى الأخلاق
ونعنى بما وراء الطبيعة :
الإلهيات ، أو ما يُسمى - فى عُرْف المتكلمين - العقائد .
ونعنى بالأخلاق :

معناها الشامل الذى يتضمن تشريع الذى يُحرّم المكر ،
ويردع الذين يفعلونه .

وقد يحالفا هذا البحث أو ذاك فى هذا الذى بعنيه بالفلسفة ،
ولكننا أحيانا أن نتفق وانقارئ على اصطلاح محدد وفى إطار
هذا الاصطلاح يسير بنا البحث .

يقول الأساد أندريه كريسون فى كتابه « المشكلة الأخلاقية
والفلاسفة » ما يبنى :

إن الفلسفة بمعناها الخصاص قد دارت - ولا تزال تدور - حول
طائفتين أساسيتين من المسائل :

١- المسائل النظرية :

- ما الكائن ؟

- ما أصله ؟ . .

- ما المصير الذى يستطره هو وما تفرّج منه ؟ .
- أفى طوق العقل الإنسانى أن يصع حلولاً لهذه المسائل ، أم أن ذلك فى حكم المستحيل ؟ ..
- كل هاتيك المسائل تُعتبر مسائل ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) .
- ٢- المسائل العملية.
- كيف يجب أن يكون مسلكنا فى الحياة ؟ .
- كيف نربى الناشئين تربية حسنة ؟ ..
- ماذا يجب لقيادة الدولة حتى تسير على النهج المستقيم ؟ .
- كل هاتيك المسائل تتوقف عليها الأخلاق ، أو تُستمد هى من الأخلاق .
- وهذا لدى ذكره الأستاذ أندريه كريسون هو رأينا الذى سسير على ضوئه فى موضوعنا هذا

* * *

٣. محاولات التوفيق

إن كل من يتصفح تاريخ الفكر العدمي في الإسلام يجد مجموعة من كسر المفكرين بحثوا في تعمق الموضوعات الفلسفية هذه ، وأنتحو فيها إنتاجاً يتفاوت - كمّاً وكيفاً - بحسب شخصياتهم .

وبدأت هذه المجموعة بفيلسوف العرب : أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق الكندي ، وقد نال الكندي تقديرًا كبيراً ، ونال شهرة ذائعة في الشرق والغرب ، وفيه قيل :
«إنه واحد من اثني عشر مفكراً هم أفند المفكرين عقلاً ، وأرجحهم نقداً وتفكيراً» .

وعنه يقول القفطي :

«فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها» .

ونال كثير من فلاسفة الإسلام مثل ما نال الكندي من شهره ومن تقدير ، بيد أن شهرتهم وتقديرهم لم يمنعاً أن يكون لهم خصوم هم من المكانة بالمرزة الرفيعة ، بل إن خصومهم أكثر من أنصارهم .

وعلى رأس خصومهم «المحدثون» . . . وعلى رأس المحدثين الإمام أحمد بن حنبل . . ومن خصومهم : الإمام ابن تيمية .
على أن الخصم الذي كان لكتائمه شهرة لا حد لها ، وتأثير

عظيم هو حُجَّةُ الإسلام الإمام العزالي ، صاحب كتاب
«تهافت الفلاسفة» . وكلمة «تهافت» تعني . السقوط والانهيار .
وستحدث - فيما بعد - عن رأى الإمام العزالي
ولكننا نتساءل الآن :

* لماذا كان المحدثون - وكثير غيرهم - حصوماً للفلاسفة ؟ . .
وما هى حكمتهم فى ذلك ؟

إن موقفهم من الموضوع مكرر ، وذلك أن موضوع الفلسفة هو
نفسه موضوع الدين .

إن الدين إلهيات وأخلاق . يستند إلى الوحي ، والوحي
معصوم . وفلسفة إلهيات وأخلاق تستند إلى العقل ، والعقل
يخطئ ويصيب ، وهو حين يخطئ لا يعلم - يقيناً - أنه أخط
وحيماً يصيب لا يعلم - يقيناً - أنه أصاب .

ويقولون ، أولسان حائهم يقون . لقد ضمن الله لنا العصمة
فى الوحي ولم يضمن لنا العصمة فى الآراء العقلية

وحينما أخذ المتفلسفون يترحمون كتب اليونان وغيرهم قال
معارضو الفلسفة :

إذا كان ما عند اليونان فى العقائد حقاً فعندنا ما هو أحق منه ،
وهو عقائد الإسلام لأنها - لأسلوب الإلهى الذى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ؛ فحق - إلهى - فى عني عن عصائهم
وإذا كان ما عندهم باطلاً ؛ فحق فى عني عن الباطل

وكذلك كان موقفهم من الأخلاق معناه العام إن كنت أخلاق أيونان فاضدة فعندنا ما هو أفصل منها . ولم تتم مكارم الأخلاق إلا في العهد الإسلامي .

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

وإن كانت أخلاق أيونان فاسدة فبحر نعود بالله من كل فساد

وعارضوا « الرحمة » في الجانب الإلهي ، وعارضوه في الجانب الأخلاقي ، ولكنهم لم يعارضوها وإنما شجعوا عليها في جانب علوم لمادية : مثل الطبيعة ، والكيمياء ، والفن . وعارضوا الفلاسف بكل ما أوتوا من قوة

وكرر البر لفلسفي استمر في المجمع الإسلامي ، وإذ كان قد تهاقت في اشرو تأثير حجة الإسلام بغزالي ، فإنه قد أزهق في المغرب على لسان ابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد .

أما تبرير الفلاسفة لموقفهم في مواجهة معارضة حصومهم فإنه يخصصه ما كتبه ابن طفيل في رسالته « حي بن يقطان » . وما كتب ابن طفيل رسالته هذه أو قصته إلا يسرر موقف الفلاسفة ويشد من أروهم بالنسبة لما يُعترض عليهم به من محاولة الفلاسفة للدين

وتحرى ابن طفيل - فيما كتب - أربعة أهداف .

١- هل يصل الإنسان بعقله إلى إثبات وجود الله تعالى ، وإلى رسم طريق لسلوك يرضى عنه الله سبحانه ؟

٢- هل يصل الإنسان روحياً إلى القرب من الله - تعالى -
وإلى المعرفة عن طريق مباشر..أو - بتعبير آخر- : هل الطريق
الصوفي طريق موصل^٤ .. وإن كان ابن طفيل لم يستعمل كلمة
« تصوّف ».

٣- هل يلتقي الطريق العقلي والطريق الروحي في انسجام
لا اختلاف فيه^٥ ..

٤- هل يلتقى ذلك كله بمبادئ الوحي ، أو بالصريق الديني ،
في تناغم ووحدة وائتلاف^٥ ..
ومن أجل الإحاطة عن هذه الأسئلة كتب ابن طفيل قصة حيالية
عقلية نطيمة

إنها قصة طفل شأ في حريرة منذ طفولته الأولى وأخذ ابن
طفيل يتدرج معه في تطوره الجسمي إلى أن اكتمل حسيباً ، وأحد
يتسرح معه في تطوره العقلي من فكرة إلى فكرة ومن مبدأ إلى
مسداً حتى وصل الفتى إلى إثبات وجود الله بطريق لعقل
المُحصّر .

والحق أن ابن طفيل كان بارعاً في تسلسله بالأفكار والمبادئ
إلى أن انتهى إلى عاقبته ، وهي أن الإنسان يستطيع - بعقله - أن
يثبت وجود الله .

وبدأ فتانا يفكر ؛ فرأى أن كل موجود يمكن الاتصال به على
وضع يليو به ، فأحد يفكر في كيفية الاتصال
ونحن نحب أن ندع ابن طفيل نفسه يتكلم :

إنه يرى أن هناك رتبة من معرفة يُتَتهى إليها بطريق العلم
النظري، ولبحث الفكري، وهذه لرتبة تعتبر طوراً من أطوار
«حي بن يقطان». «فلانه، بعد أن شت وترعرع، وبلغ دور
التمييز، وانتهى إلى مرحلة التعقل، والاستدلال، والبرهان،
أدرك - بطريق النظر - حقيقة الحسم، وأنه مُتَناه، وأدرك بُدنة
العالم، وحصلت عنده فكرة نظرية عما وراء الصيغة، واستناه له
الحق، بطريق البحث والنظر»

فلما انتهى من هذه المرحلة، بدأ في المرحلة الثانية .

* مرحلة الوصول إلى الحكمة بطريق الرياضة .

«وكان مما يقوم به من الارتياح : أنه كان يلزم الفكرة في
الموجود الواحد الوحد ثم يقطع علائق المحسوسات ،
ويعمض عنه وبسبب أدبه ، ونصرت جهده عن تنوع الخيال ،
ويروم - بمبلغ طاقته - ألا يفكر في شيء سواه ، ولا يشرك به أحداً
ويستعين - على ذلك - بالاستدرة على نفسه ، ولا استعانة
بغيره ؛ فكان إذا اشتد في الاستداه عانت عنه جميع المحسوسات
وصعب الخيال وسائر لقوى التي تحتاج إلى الآلات الجسمانية
وقوى فعل ذاته ، انتهى هي بريئة من الجسم .

فكانت - في بعض الأوقات - فكرته قد تحصنت عن الشوب ،
ويشاهد بها الموحود ، الواحد الوحد .

ثم تكرر عليه القوى الحسماوية فتسدد عليه حاله ، وتردُّه إلى أسفل السافين ، فيعود من دى قبل ، فإن حقه ضعف يقطع به عن عرصه سول بعض الأعذية بحسب شرائط معينة ، ثم استفل إلى شأنه

ثم رأى أن الحركة من أحصر صهاب الأحسم ، وكان يريد طرح أوصاف احسمية عن ذاته ، فأحد يقتصر على السكون فى معارته مطرقاً ، عاصماً بصره ، مُعرّصاً عن جميع المحسوسات ، ولقوى حسماوية . فمحتمع الهم والفكره فى الموحود ، الواجب الوجود ، وحده دون شركة .

فسمى سنج لخياله سانعٌ سواء طردة عن حياه جهده ، وذافعة ، وراض نفسه على ذلك ، وذهب فيه مدة طويلة ، بحيث نمر عليه عدة أيام لا يتغذى فيها ولا يتحرك

وفى حلال شدة محاهدته هذه . ربما كانت تعيب عن ذكره وفكره جميع الأشياء إلا دانه فإنها كانت لا تعيب عنه فى وقت استعراقه بمشاهدة الوجود لأول حق ، الواجب الوجود ، فكان يسوؤه ذلك ، ويسلم أنه شوب فى لمشاهدته المخصصة ، وشركة فى الملاحظة

ومما راب يطلب انهاء عن نفسه ، والإحلاص فى مشهده الحق ، حتى تأتى له ذلك ؛ وعانت عن ذكره وفكره السموات

و لأرض وم بينهما ، وجميع الصور ابروحانية ، والقوى
احسمانية وجميع القوى المُفرقة للمواد، والتي هي الدورات
العارفة بالموحود الحق، وعابت ذاته في جملة تلك ادوات،
وتلاشى اكل واصمحل، وصار هباءً منثوراً، ولم يبق إلا
الواحد الحق، الموحود الثابت ابروحود، وهو يقول بقوله، الذي
ليس معني زائداً على ذاته:

﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١)

ففهم كلامه، وسمع ندائه، ولم يمتعه عن فهمه كونه لا يعرف
الكلام ولا يكلم . . واسعرق في حالته هذه، وشهد ما لا عين
رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر

وكان كل ما وصل إليه اس طين عن طريق الرياضة مسحاً
تماماً، فيما يرعم - وما وصل إليه عن طريق العقل

وابن طفيل - في هذا - يسير على عطف سار فيه ان سينا من قبله،
وهذا التوافق بينهما بالغ الأهمية . إنهما من كبار المفكرين ويكد
فكرهما يكون منطقاً تماماً في أن العقل الإنساني يصل إلى الله
بالدليل والبرهان وفي أن القلب الإنساني يصل إلى الله بالرياضة
ابروحية . العادة ؟ صلاة وصياماً وذكرًا .

لقد أثبت ابن سينا وجود الله بالعقل ، ودليله المرتكر على
«الإمكان والوجوب» معروف مشهور

أما جانب الرياضة الروحية فيقول عنها هي كته الذي كان
يعتبره كثيراً . والذي أُلّفه في أواخر حياته . . وهو كتاب
«الإشارات» :

« ثم إذا بلغت به الإرادة والرياضة حداً ما عنت له خلجات
من اطلاع نور الحق ، لذيدة كأنها بروق ثومض ثم تخدم عنه .
ثم إنه تكثر عليه هذه الغواشي إذا أمعن في الارتباط ،
فكما لمح شيئاً عرج عنه إلى جناب لقدس ، فيذكر من أمره
أمراً ، فيغشاه غاش ، فيكاد يرى الحق في كل شيء .
ثم إنه لتبلغ به الرياضة مبلغاً ينقلب له وقته سَكينة :
فيصير المخطوف مأوفاً ، والوميض شهياً بيّناً ، وتحصل له
معارف مستقرة ، كأنها صحية مستمرة . » ..

إلى ما وصفه . على حد تعبير ابن طفيل . من تدرج المراتب
وانتهائها إلى الليل ، بأن يصير سره مرآة محلوة يحاذي بها شطر
الحق

«وحيث تدر عليه اللذات الغلا ، ويعرج بنفسه لما يرى بها
من أثر الحق ، ويكون له في هذه المرتبة نظر إلى الحق ونظر
إلى نفسه ، وهو - بعد - متردد .

ثم إنه ليغيب عن نفسه فيحفظ جناب القدس فقط وإن
لحظ نفسه فمن حيث هي لحظة ، وهناك يحق الوصول «
- ونعود إلى اس طفيل

به بعد أن وصل إلى له بصريق العقل ، وبصريق رربية
الروحانية ، تأمل في ثمرة الطريقين فوجد أن تبحتسهما واحدة ،
وأنهما لا يختلفان إلا في درجة الوصول ، وأما عن ذلك ،
وبذلك يكون قد وصل إلى الإجابة عن سؤال الثالث .

وأناحت المصادفة للشيخ - حتى س يقض - أن يلتقى برجل يدين
سدين متزك صحيح ، وتفاهم معه في كل ما وصل إليه عقله ، وما
وصل إليه قلبه ، فوجد الطابق الدم

ووصل س طفيل برسته المصبعة بحجم إلى كل ما كان يرحو
أن يصل فيه إلى حوار صحيح يرصى العقل ويرصى الدين
وكنت قد وأما في فلسفة الإسلام الوصول - عن طريق
المحاولات العقلية مستمرة - إلى التوفيق بين الدين والفلسفة

«الفلسفة» في الإسلام - إذن - تحاول جاهدة أن تعلن - في
نوع من الدعاية المزخرفة - أنها تتفق مع «الدين» ، فما أتى
به الدين ، وأنها لا تختلف عنه في مبادئها

* * *

٤. الجواز الذي نشأت فيه الفلسفة

و عند كل فيلسوف في الإسلام ، و عند كل مؤرخ للفلسفة الإسلامية فقرات وفصول بعنوان الموفق بين الدين والفلسفة سواء أكان هذا العنوان صاهراً أم مستوراً . فهل تحقت الفلسفة في هذا أم أخفقت ؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال يجب أن نتحدث أولاً عن الجواز الذي نشأت فيه الفلسفة :

بها نشأت عند قدماء اليونان قبل الميلاد وكانت اليونان فيما قبل الميلاد بقرون تدين بدين وثني ، كانوا يؤمنون بمجموعة من الآلهة قاسية للزيادة عن طريق الأرواح والتناسل وهي جهة تحب وتتعص وتباعد وتتشاحن ويحاول بعضها أن يعتدي على الأعراض وعلى السطوح ، وهي في براع مستمر ثم هي تحابي من الشر من تقدم لها الفرائس والأصاحي ، ونجد من لم يفعل ذلك وكانت في مستواها ، الأخلاق العام - بعدة عن الكمال والمصلحة ، وكان لا بُد من التكرار والتعود يجعل هذا الوضع للآلهة وضعاً عادياً لا يثير نقداً ولا استكرا

بعد أنه نشأ في القرون (خامس والرابع والثالث قبل الميلاد) في بلاد اليونان مجموعة كثيرة من المفكرين الذين من ومن العقاقرة . . وفكروا وتأمنوا ونقدوا واستكروا ، ووصلوا عن الذين يعملون ذلك في صحت أو في هدوء ، وفي كثير من

الأحيان يسرُّون ذلك ويحمونه على نفوسهم ، ولكمهم . على أي
وضع كانوا . ألَّفوا مذاهب أسوانها واعتقدوها : مذاهب شرية لم
تُؤسَّس على وَحْي ، ولم يُنزلها الله على لسان أنبيائه ورسله .
ألَّفوا مذاهب تُتصل بالله . سبحانه . وبالأخرة ، وبأسدوك
الإنسانى الذى يجب أن يلتزمه الإنسان .
إنها مذاهب مؤسَّسة على لعقل . عنه تصدر ، ومنه تنبع ،
وعليه تقوم .

إن العقل يُنشئها ويسير معها حصوة فخطوة حتى يصل بها - فى
تدرج - إلى عايتها : إنها مذاهب عقلية : إنها مذاهب شرية
إنها فى المستوى البشرى .

وردا كانت «أسطورية لذين اليونانى» هى التى دفعت هؤلاء
المفكرين على ما أقدموا عليه . فإن الأمر لم يكن كذلك فيما
قبل .

كان الوضع - فيما قبل - : التفرقة بين مجالين من مجالات
المعرفة ، هما :

١ - مجال المعرفة الحسية . وهو مجال آلات المعرفة فيه
الحواس ، ومرضوعه المادة ، والعقل يحول فيه مستنطاً ومستنحاً ،
فيؤلف فيه ويركَّب ، ويعيد تأليفه وتركيبه ، ويستخرج قوايه
وقواعده . فتكون الحضرة ، ويكون العلم ممهوماً العربى
الحديث أو ممهوماً انكوبى المادى ، طبيعة وكيمياء وفلكاً .

٢- مجال المعرفة الروحية والأخلاقية : وهو محال ليس

الحواس مصدره وليس العقل مُشْتَبِه أو مُتَدَعِه ، وإنما مرده إلى الوحي يُنزله الله تعالى على ألسنة من يصصفهم لحمل الرسالة من خلقه ، إنه من اختصاص الله تعالى يبيّنه على ألسنة رسله .

وسار الأمر على هذه الكيفية إلى العهد اليوناني القديم : فخاص الإنسان في محال الحس - وهو اختصاصه - وخاص في محال الروح بعقله ، وليس للعقل في مجال العيب ، لا محاولة لفهم إذ الإشاء والابداع في هذا المجال ليس للإنسان ، وليس من اختصاصه .

وجاءت المسحبة فردت الأمر إلى حالته الطبيعية : عالم احس للإنسان أن يفكر فيه ويستنبط ، وعالم لروح ليتفهمه لإنسان عن طريق الوحي .

ولكن التبار لفلسفي اليوناني - وقد أصبح سئة مألوفة - عرا الحو المسيحي وأخذ مكانته المرموقة بين المفكرين العربيين فنشا فيهم ، ونشأت في أحوثهم «الفلسفة»

وأخذ فلاسفة الغرب يحاولون التوفيق بين «المسيحية» و«الفلسفة» وكان أبرزهم في هذا المجال ' افيلسوف « قوما الأكويني » .

وإذ قرأت « ديكارت » تجده كأنه كان يمشي على الشوك وهو يتفلسف محاولاً - ما استطاع إلى ذلك سبيلاً - مداراة القساوسة وعلماء الدين .

أحو العام الفلسفى - إدن - يعلن فى مجاملة بالعة ، أنه يؤيد الدين ولا يحرف عنه وأنه يقدم إنتاجه ويعرضه على علماء الدين متقبلاً ملاحظاتهم التى توليها عناية الفائقة . كان هذا موقف ديكارت وغيره

وجاء الإسلام يهْدِي للتي هى أقْوَم ، وليُحَرِّج الناس من لظلمات إلى النور ، وييقود الإنسانية نحو مرضاة الله تعالى ووضع الأمور فى نصابها ميسراً بأسلوب لا لى فيه أن : العقيدة ، ونظام المجتمع ، والتشريع ، من أمر لله تعالى . وقد شاء برحمته سبحانه - أن يرسم للإنسانية طريقها المعصوم فى كل ذلك وأرسل الرحمة المهداة ، خاتم النبيين محمد ﷺ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ (٢) مَا كُنْ فِيهِ أَهْدًا ۝ (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ (٥) ﴾ (١)

ولكن « الفلسفة اليونانية » دخلت - على اسنحباء - فى عهد المنصور ، وقوى حياها فى عهد تامور ، وصيبح فى الأمة الإسلامية « فلاسفة »

(١) سورة نحيب - ٥

٥. سمات الفلسفة

والآن نتساءل :

- ما هي السمات العامة للفلسفة ؟ . .

وبإيه لا يتأتى أن نحدد - في صورة مقنعة - موقف الإسلام من

الفلسفة قبل تحديد سماتها العامة ، وما هي هذه السمات ؟ . .

* السمة الأولى :

وهي أهمها ، ونعتبر كالمع الذي عنه تفيض السّمات

الأخرى . . وهي أن الفلسفة لا مقياس بها للترقة بين الحق

والضلال ، بين الصواب والخطأ ، فإذا اختلف فيلسوفان في أمر

من أمور لفلسفة فإنهما لا يجازان مقياساً يرجعان إليه للحسم

بيهما في موضوع الخلاف .

أما في لعلم فإن المقياس هو « التحربة » فإذا اختلف عدان في

أمر كوني رجعا إلى التحربة وهي تعلن - في صراحة مُشاهدة -

خطأ هذا وصواب ذاك .

ما هو - في عالم الفلسفة - الأمر الذي يجري محرى التحربة

في مجال العلم ؟ . .

لا شيء

ما لدى يحسم خلاف في علم الفلسفة ؟ . .

- لا شيء . .

ما هو المرجع من أجل الاتفاق في عالم النسفة ؟ . .
- لا مرجع .

ولقد شعر الفلاسفة بذلك ، فقام اثنا من كبار عباقرة الفلسفة
بمحاولة لإيجاد هذا « المقياس » ، وهما « أرسطو » في الماضي ،
و« ديكارت » في العصور الحديثة ، ولقد أحقق كل منهما إخفاقاً
تاماً كاملاً .

نبدأ الحديث عن أرسطو ولا ننسى أننا في عالم الإلهيات ،
مجال الفلسفة لرئيسي . لقد فكّر أرسطو وقدر ، ثم فكّر وقدر ،
وخرج على العالم بما يُسمى « المنطق الأرسطي » أو « المنطق
الصُّوري » وأخذ هذا المنطق في عالم لفكر الفلسفي مجالاً من
الشهرة والعناية لا حدّ له ، وأخذ في الحو الإسلامي شهرة ذائعة
لصيت ، وتناهى جميع فلاسفة الإسلام ابتداء من الكندي في
المشرق . . إلى ابن رشد في المغرب .

ولكن كثير من المسلمين ذوى الأصالة في الفكر الإسلامي
أبانوا - في وضوح - أن المنطق الأرسطي منهار ، وأنه متهافت ، وأن
لخلل في جوهره وأركانه ، وأنه خلل لا يصلح .

وكان من هؤلاء ابن تيمية بدى كتب كثيراً في نقد المنطق
ونقصه لقد كتب في ذلك كتاباً ، وكتب في ذلك فقرات مشورة
هنا وهناك في خلال كتبه الكثيرة وفتاواه المستفيضة
ومن كتب في نقد المنطق ونقصه ابن حزم

والمحدثون جميعاً لا يجد اسبق عندهم تر حاباً ولا قولاً
وقد كتب بحسب سببه على أن المنطق لا يحسم خلافاً ولا يفصل
حقاً عن باطل .

ومما كتبه في المنهج الحديث ، والمنهج الأرسطي ، ما يلي
إن المقاييس هي :

(أ) الاستقراء .

(ب) القياس .

أما الاستقراء - وهو أساس المفاهيم العامة والقضايا الكمية -

فيه :

١- مبنى كنه على الحسن . به استقرء مُحَسَّنَات ، إنه نتج
جزئيات ، لا تخرج عن نطاق الواقع .

أما المسائر فهو يرى منها كل سرءه ، لأنها لا تدخل في
دائرة احصائه : فهو عاجز عن أن يحترق الحُجُب ليصل إلى ما
وراء الطبيعة .

٢- ثم إن الاستقراء : تام ، وناقص

والتام - كما يعرف مصادقة - لا غناء فيه ، ولا فائدة

أما الناقص وهو المهم في صرحهم فيه - في رأيهم أيضاً - ضئي
وهو لذت عُرْصة للتعبير ، في كل أونة . وفي « كل معدن يتمدد
بالحرارة » قضية من قضايا الاستقراء - إنها قضية عامة شاملة ،
ونكن المعدن لم تُستكشف - بعد - أكملها

ومن الحائز أن يُكتشف في عدم معدّل لا يتمدد بالحرارة إنها
إذن : قضية مؤقتة ظنية ، تتبرأ من اليقين الفلسفي .
« والعلم - كما يقول أحد المفكرين - لا يعرف الكلمة الأخيرة
في أي مسألة من مسائله ، وإنما حقائقه كلها إضافية مؤقتة
.. لها قيمتها ، حتى ينكشف البحث عما يزيل هذه القيمة أو
يغيّرها » .

وهكذا قصايا الاستقراء .. إنها .

١- خاصة بالطبيعة ، ولا شأن لها بما وراءها .

٢- ظنية ، لا تعرف اليقين .

أما القياس :

١- فإنه مني على لاستقراء ، إذ هو مطوّر دائماً على كلية .
كلية استقرائية ، وما دامت قصايا الاستقراء ظنية . كما رأينا .
ومبادئها المحسّات ، فتائج القياس ظنية كذلك ، ومبادئها
المحسّات .

٢- إن المناطق لا يشترطون في مقدمات القياس ، أن تكون
مسلمة صادقة في نفسها ، وإما يشترطون أن يسلمها المتحدلون
وحسب ، وقد تكون - كما يقول صاحب « البصائر النصيرية » -
منكرة كاذبة في نفسها ، وفي هذه الحالة يكون لقياس صحيحاً
ونتيجته بطله .

وإذا كان الأمر كذلك فما فائدة القياس ؟ ما قيمته إذا كان لا يُعول فيه إلا على أن تكون المقدمات مستوفية شروط الإنتاج بحيث تستلزم النتيجة وإن لم تطابق النتيجة الواقع ؟
- ما قيمته إذا كان لا يحصل بصدق النتيجة أو كذبه ؟ ...
إنك إذا قلت :

الكثير من العلم يؤدي إليّ لاستقلال الفردى ، وكل ما يؤدي إليّ الاستقلال الفردى مُضر بالمجتمع ؛ والكثير من العلم مُضر بالمجتمع ، كان هذا «قياساً صحيحاً» في نظر اساطفة .
وإذا قلت :

الكثير من علم يؤدي إليّ التماسك الاجتماعي ، وكل ما يؤدي إليّ التماسك الاجتماعي مفيد للمجتمع ؛ فالكثير من العلم مفيد للمجتمع ، كان هذا أيضاً «قياساً صحيحاً» عند البطقة ، ومع ذلك فالنتيحتان متعارضتان

٣- ومع كل هذا فالقياس استدلال دوري فاسد ، ذلك أن العلم بالنتيجة هي نحو قولنا : «محمد إنسان ، وكل إنسان ناطق»
فمحمد ناطق «متوقف على العلم بالكبرى ، والعلم بالكبرى متوقف على العلم بالنتيجة ، لأنك لا تستطيع أن تحكم بالباطنية على جميع أفراد النوع الإنساني إلا إذا تأكدت من ثبوت الباطنية لمحمد ، ولو كنت في شك من ذلك ما استطعت تعميم الحكم على جميع أفراد الإنسان

إذن: تكون الكبرى متوقفة على استيحة، وتكون النتيجة متوقفة على الكبرى، وعلى ذلك يكون القياس استدلالاً دورياً فاسداً، فلا يُعَوَّل عليه

٤. وأخيراً. فالمفروض أن ستيحة القياس جديده كل الجدة، إنها استتاج مجهول (هو الستيحة) من معلوم (هو المقدمات) .

ولكن الستيحة متضمنة في المقدمات، إنها ليست مجهولة القياس - إذن - لا يؤدي إلى معرفة حديده ، أو إلى استتاج مجهول من معلوم، إنه - إذا أردت الدقة - استتاج معلوم من معلوم

بلت هي مورين العقل - وهي موارد لا عدء فيها ولا حدودي منها فيما يتعلق بالإلهيات .

العقل - إذن - قاصر فيما يتعلق - لأحلاق ، وهو قاصر - على الخصوص - فيما يتعلق بالإلهيات .

ومن هنا كانت الحكمة في برول الأدين، ومن هنا كان نسب في اقتصارها على الأخلاق والإلهيات . وإذا كانت قد تحدثت في التشريع فإن التشريع داخل في نطاق لأحلاق

أخفق - إذن - منطق أرسطو، واستمر لاختلاف بين الفلاسفة كما كان من قبل، واستمر الخلاف حتى بين الماطقة الأرسطيين الكبار منهم و لمغمورين . بل حدث لاختلاف بين تلاميذ أرسطو نفسه، وهم أساغ مدرسة واحدة هي «المدرسة الأرسطية»

ومرت اعصور، وتوالت نغزات ووجاء «ديكارت»، وبدأ
ديكارت يتفلسف على استحشاء وعلى حذر بالغ، فما كان حو
رعماء المسيحية في الغرب إذ ذاك يوحى بالاطمئنان والسكينة،
فما كان حو أرهيباً يؤاحد على العظمة، وينكسر على شبهة، لا
يتحرى عدالة، ولا يستشعر رحمة.

وأحد ديكارت يتحسس صريره في حيلة بالغة مدرياً،
مجاملاً، مادحاً، متواضعاً.

ودات يوم أعلن أنه عثر على المهج المعصوم.
وأنه على أساس من هذا المهج سيقود لإنسانية إلى «الحق»
ورأى أن هذا المهج صالحٌ ليكشف عن «الحق» في الكون،
وفيما وراء الكون، في الطسعة وفيما وراء الطبيعة.
وكان من سحرية القدر أن التجربة أظهرت حصاه في أثناء
حياته..

وأن «اخلاف» استمر - حو آرائه - هي الإلهيات، وراء
معاصريه، وراء من قبله، كما كان الأمر من قبل أن يولد مسيحه؛
وأحق مسيح ديكارت كما أحق - من قبل - مسيح أرسطو.

ونقبت الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن الفلسفة لا مقياس
لها

- هذه هي السمة الأولى -

* السُّمة الثانية :

مادامت الفلسفة لا مقياس لها ، فهي - إذن - طيبة ، وإنها طيبة وإن عُحِست بمنطق أرسطو الذي أحرق ، وهي ظيية وإن حُبرت بمنهج ديكارت الذي لم يقع في قلب ولا في كثير . إنها طيبة لأنه لا يتأتى أن يترق فيها - ولا مقياس - بين الحق والصلال وتستمر هكذا إلى الأبد

* السُّمة الثالثة .

مادام لا سبيل إلى ليقب في موضوعات الفلسفة فإن من البدهي أن « اختلاف الآراء فيها دائم » .

وهذا هو الواقع حينما ينصفح الإنسان الفكر الفلسفي عبر الأمور . إن الاختلاف دائم مستمر منذ أن نشأ ، إنهم يختلفون حتى في المدرسة الواحدة واطر - مثلاً - إلى مدرسة سقراط ؛ فستجد تلاميذه يقرؤون بأستديته في احترام بالغ ، وفي تحيل يشبه التقديس ، فإذا حُت إلى آرائهم في الإلهيات ، أو في الأخلاق ، فستجد الاختلاف ولا فراق . .

الاختلاف والافتراق بينهم وبين أستاذهم . . والاختلاف والافتراق بين بعضهم وبعض . . بل إن الأمر يصل بالشخص الواحد إلى أن يختلف مع نفسه بحسب تصور حياته ، أو اختلاف بيئته ، أو اختلاف ما يقرأ من مصادر ثقافته . .

وكل هذا واضح عبر العصور .

ومن عرائب الأمور أن الملازمة يعلمون ذلك علماً يقيناً ،
ويعلمون أن كل فيسوف أتى من قبلهم هدم آراء سائقيه جميعاً ،
أنه لم يعترف بوصول أحدهم للحق ، إنه بخطئهم جميعاً ، ولو
ثم يكن الأمر كذلك لأحد بارائهم ، واكتفى عما خبروه ، أو بما
أنشأ أحدهم من قبل .

ولكنه مع علمه بأن الفلسفة دائماً إلى نقد وبقص ، فإنه لا يأبه
بهذه المعرفة ويقيم مذهبه على أنقص مذهب سائقيه ، فيأتي من
بعده ويهدمه ويقيم مذهباً ماله السقوط وهكذا دواليك .
* السمة الرابعة :

ومدام لا اختلاف مستمر بين المسائل - التي هي موضوع
الفلسفة - تستمر هي هي .

« إن مسائل الفلسفة لم تتغير على مرّ الدهور » .
- ما هي مسائل افلسفة ؟ . إنها مسائل تتعلق :
الله سبحانه ، وصفاته ، وصلته بالعالم خلقاً وتصريفاً ،
وصلته بالإنسان قرأً وتوحيهاً ، وابعث وكيفيته
والخلق الكريم الذي يُمثّل المصلحة والكمال .
والخلق السيّء الذي يُمثّل الشر والفساد
والسوءة ، واصلته بالله عن طريق اوحى - إثباتاً وإنكاراً - ثم
هل لمعرفة ممكنة ؟

وفي كل هذه الموضوعات الكبرى - وعبرها - ينصلها -
اختلف الفلاسفة . . وما رآلو .

واستمرت هذه المسائل - على مدى سبعة وعشرين قرناً تقريباً -
مثار بحث و جدل ، إلى أن لم يصل الفلاسفة في واحدة منها
إلى اليقين ، ولم توصل و حدة من موضوع الاتفاق .
* السمة الخامسة :

إن الاختلاف في مسائل الفلسفة ليس اختلافاً في الإيجاب -
فحسب - وذلك أنه قد يحور أن يكون مسألة ما عدة حلول كلها
إيجابية . وليس اختلافاً في السلب - فحسب - وذلك أنه قد
يحور أن يكون لمسألة واحدة عدة حلول كلها سلبية .

كلاً . إن الخلاف عام في الإيجاب وفي السلب ، و به ليصل
إلى الإنكار المطلق وإلى الإثبات المطلق في كل مسألة ، وإنه
ليصل بك أحياناً إلى طريق مسدود
- أتحب أن تعرف شيئاً من ذلك ؟ . .

إن الأستاذ « البير ريفو » يقول في كتابه « الفلسفة اليونانية »
« أما عن العقل فإن سلسلة الآراء الروقية تتألف منها أثبتت
بسهولة أنه ليس له قدرة مطلقة حازمة :
١ - فهل في إمكان أن يعرف عن حقائق من التمتع متى تكفُّ
عن تكوين أكوام ؟ . .

٢- وإلى أى حدٍ تنق في اعتراف الكذاب الذي يعترف بأنه كذاب ؟ .

٣- وعندما يصرر أن دليلاً مطعياً هو من الصحة إلى الحد المقنع ، ألا يتعبّر عليه أن نقيم دليلاً آخر على صحة حكمه بأنه صحيح ، ثم على الحكم الأخير وهكذا إلى ما لا نهاية ؟

٤- وكيف يمكن التمييز بين الفكرة الحليّة الرواصحة وسواها ؟

٥ - على أن الصور التي نراها في الأحلام تُفرضُ علينا بنفس لقوة المقنعة التي لصور البقطة ، فإرحش الذي يطاردا في الأحلام ليس أقل ترويعاً من وحش العانة ؟

٦- ثم ، إذا طرنا إلى المحايين ألا نحدّ لديهم - أيضاً - إدراكاً واعياً حلياً ؟ .

٧- وعندما نحد أنفسنا - بالصدفة - أمام شيئين مشابهين تماماً كورفتي شجرة ، أو بيصتين ، أو برأمين ، فأى وسيلة مصطنعة تمكّنتنا من تمييز أحدهما عن الآخر ؟ .

٨ - وحتى في العلوم الرياضية .

- هل يمكن أن نحد بين قصاب ما هو "حلي" بحيث يضطر لشعور إلى التسليم بصحته ؟ ؟ .

ومع ذلك فإنه إذا كان ذلك يُحتمل في الحياة العقنبة سحتة ، فإنه لا يُحتمل في الحياة التي تتصل بسلوث الملح الذي تحتح الحياة العملية إلى الفصل فيه سريعاً . فما موقفنا من هذا النوع ؟ . وما موقف فلسفته منه ؟ .

- إنها تكتفى فى الحياة العملية بالترجيح
يقول كاريناد:

« ومع ذلك فلا بد لكى نحيا حياة عملية : من وجود مُعادل
يساوى ما هو قاطع وجازم » .
ثم يقول :

إنه يستطيع أن يحدث المعادل فى « روحانية » . إن إدراك
على وجه الترجيح يمكن أن يسمح لك بحكم على الأشياء فى
الأمور العملية بطريقة وضعية
وتصل بك الفلسفة احباً إلى معقولات كدتها الواقع ، أو
إلى وقع يكذبه منطق العقلى مع أنه واقع مُشاهد .
- أتحب أن نسنّى بشيء من ذلك ؟

إن الأستاذ « ألبير ريفو » يقول :

« إن التعبير يحدث فى المكان أو الزمان ، وإذا تصوّرنا مكان
قابلاً للتحرّث إلى ما لا نهاية ، فإن استحرك من يبلغ أنداً غابة سيره
مدام يرممه لوصور إليها أن يقطع أولاً نصف المسافة ثم نصف
النصف ، وهكذا دوايك إلى ما لا نهاية .

ولن يبلغ أنداً « أشيل » ذو القدمين السريعتين ، المسحفة ، إذا
كانت تسقه . ولو بمسافة ضئيلة . ذلك أنه بينما يختار نصف هذه
المسافة ، تسقه هى أيضاً ، بحيث يجب عليه بدوره أن يقطع
نصفها ، بينما تتقدم هى من جديد .

وهناك حجة أخرى تكرر إمكان تكوّن لكل من أحرار ، فإن

كومه من القمح تُحدثُ عندما تُرْشُ على الأرض صوتاً يُسمع على بعد، ومع ذلك فبحر لا يسمع اصوات الدي تُحدثه حبة القمح الواحدة وهي تسقط .

وإذا كان الأستاذ « لير ريهو » موحراً مركزاً لا يذكر اسائل في سهولة ويسر ، فإن صاحب « قصة الفلسفه » سطلها في شيء من الوضوح فيقول مسحدثاً عن زينون الايلي .

* الدليل على بطلان الكثرة .

إن كانت الكثرة حقيقة واقعه - ونعني بالكثرة أن الكون ليس شيئاً واحداً بل وحدات كثيرة متر كمة - كان الكون لا متنهاً في الكبر ، ولا متنهاً في الصغر ، لأنه مؤلف من وحدات كما فرضت أولاً . ولابد أن تتبع تلك « وحدات » من الصغر حدّ اللانهاية ، بحيث لا يكون لها حجم ، لأنه إن كان لوحدة حجم سقطت عنها صفة لوحدة وأصبحت وحدة للانقسام إلى وحدات أصغر منها ، فإذا سلّمنا بأن كل وحدة على شراد لا حجم لها لرم أن يكون الكون الذي يتكون منها لا حجم له كذلك ، لأنه حاصل جمعها .

وكذلك يكون الكون لا متنهاً في الكبر ، لأن له حرماً لا شك فيه ، وكل جرم قبل للانقسام إلى حريبات لا نهاية لعددها ، ومهما بيعت تلك « الجزئيات » من الصغر فهي إذا صُربت في عدد لا نهائي كان الناتج كوناً عظيماً يمتد إلى ما لا نهاية

إذن . فمرص الكثرة يؤدي إلى نتيجتين متناقضتين لا يسلم
بهما معاً منطقاً سليماً ، فلم يعد أمامك من سبل إلا أن تنكر إنكاراً
ربّاً «الكثرة» ، وأن تسلم بأب الكون كله «شيء واحد» لا يقبل
التجزئة ، وأن هذه الأجراء - التي تراها متصرفة - باطلة ليس لها
وجود !! .

* الدليل على بطلان الحركة .

١- إذا أردت أن تقطع مسافة ما ، فستضع نصفها الأول ،
ويبقى أمامك نصفها الثاني ، ثم ستقطع نصف هذا النصف ،
ويبقى نصفه الآخر ، وهكذا ستصل تقصص نصفاً ويبقى نصف إلى
ما لا نهاية . .

٢- فلن تصل إلى عيتك المقصودة إلى الأبد .

٢- تسابق رجلٌ وسلحفاة ، فبب أن السلحفاة تقدمت عشرة
أمتار قبل أن يبدأ الرجل ، بطراً سوء سيرها ، وكانت سرعة
الرجل عشرة أمثال لسلحفاة ، فبدأ الرجل وقطع عشرة
الأمطار التي تفصله عن السلحفاة وجد أنها قد تقدمت متراً (أي
عشرَ لمسافة اني قطعها هو) فبما قطع هذا المتر ، تكون السلحفاة
تقدمت عشرَ المتر ، فإذا قطع هذا بعشر ، تكون قد تقدمت جزءاً
من مائة جزء من المتر ، وهكذا بطلانٌ إلى ما لا نهاية فلو ظل
المتسابق إلى آخر الدهر فلن يلحق الرجل السلحفاة !! .

٣- إذا انطلق سهمٌ في الهواء ، فلا بد أن يكون في أي حطة

رسمية ثبناً في مكان معين ؛ لأنه لا يحور أن يكون في اللحظة الواحدة في مكانين مختلفين . ولكن إذا كان السهم في كل جزء ساكناً في مكان بعينه لزم أن يكون في مجموع الفترة ارمية ساكناً كذلك ، لأن استمرار السكون يُنتج سكواً ولا تولد حركة .
 من هذه الأمثلة الثلاثة يتضح أن «الحركة مستحيلة» وإن حينئذٍ لنا أنها حقيقة واقعة ، لأنك - كما ترى - إن فرصت حدوث الحركة تورطت في سلسلة من «التناقضات» لا تستقيم مع العقل والمنطق .

وإن الفكر الفلسفي ليصل بك - أحياناً - إلى إنكار السماء والأرض ، ومابين السماء والأرض ويقول لك : ليس في الوجود - يقياً - غيرك أنت وحدك .
 * آخر السمات

أما السمة الأخيرة فهي سمة تؤدي إليها - لا ماص - لسمات السابقة

وإذا كانت السمات السابقة يسلم كل منها إلى الآخر ، فبها جميعاً تتكاتف لتؤدي إلى هذه السمة لأخيرة

- هذه السمة الأخيرة هي أن : « الفلسفة لا رأى لها »

وقد تكون هذه السمة مصاحبة لبعض الناس ، كيف يتأني أن تكون هذه الفلسفة التي ملأت الدي صياحاً - مد أن نشأت . ولم تكف - مد أن شأت حتى الآن - عن الصباح ، لا رأى لها ^{١٩}
 والأمر أيسر من أن يحتاج إلى استفاضة :

أما أولاً ، فلأن « الفلسفة لا رأى لها » نبيحة و صحة لكل ما
قدّمنا .

وأما ثانياً . فحد أيّ مسألة من مسائل لفلسفة تستجد فيها
الآراء لى تُكبر . والآراء اللى تُثبب إيث سري الرقص
والقول فى كل أمر .

والرفض فلسفة ، والقول فلسفة

وقد يكون الرأى توفى عن الرقص والصول ؛ وهو فلسفه
وقد يكون شكاً فى ارفض وشكاً فى القبول فى أن واحد ؛ وهو
أيضاً فلسفة . .

واشك إما أن يكون شكاً فى قيمة الإراء اللى تعرض . نفي ،
أو إثباتاً . .

وإما أن يكون شكاً فى قيمة وسيلة لمعرفة نفسها ، وهى
الحواس والعقل . وكل ذلك فلسفه فى كل مسألة
وإذا تساءلت . وأب على عدم رجوع الفيلسوفى ، حرّ المتحدث
و الوهم .

- ما الرأى الفيلسوفى فى هذه المسألة أو تلك ؟ . .
فسجد كل ما قدّمناه مائلاً فمك يثبت لك . مما لا مريّة فيه .
أنه : « لا رأى للفلسفة » .

* * *

٦- وقبل أن نخلص إلى الخاتمة نذكر أمراً في منهج الفكر الفلسفي فيه عظة وفيه عبرة

إن محاورة « هيدون » لأفلاطون لها أهميتها لأكثر من واحة ،
منها أنها :

- ١- محاورة يدور لبحث فيها حول حلول النفس
- ٢- وهي محاورة لا تتعرض فيها أهداف المناقش ، وإنما تتحد وتتنق ، ويحب المناقشون أن يصلوا فيها إلى نتيجة محببة إلى نفوسهم ، وهي أن « النفس خالدة »
- ٣- إن الذين يدور بينهم أحرار فلاسفة من الدين لهم وزنهم وأعبارهم . وأحدهم يسمونه « أبا الفلسفة » . ويسمونه « أبا الفلاسفة » .

٤- المتحاورون ليسوا من مدرسة واحدة . وإلى هم من مدرستين مختلفتين ، هم مدرسة سقراط ومدرسة فيثاغورس . وهم وإن كانتا متفكرتين فإنه ما من شك في أن جو سقراط العقلي يختلف عن جو فيثاغورس الروحي .

ولهذا لاختلاف بين اتدقيهما على غاية وحدة « إثبات حلول الروح » . ومحاولتهم لاستدلال عليها ، له أهميته الخاصة

٥- سد أن الأمر الأساسي، المهم الذي من أجله نتحدث في هذا الموضوع هو اتفاق المدرستين على أن «الوحي» فيما يتعلق بما بعد الطبيعة هو السفينة الأممية المتية، وأن «العقل» في مجال الإلهيات، إن هو إلا عبارة عن روح من الخشب، إذا قابلته أو إذا وازنته بالوحي إن الوحي سفينة والعقل لوح من خشب.

لقد كان حوار يدور بين «سفرط» و«ثيس» من «الفيثاغوريين» هما «سيمياس» و«قابس» وهما من كبار فلاسفة المدرسة الفيثاغورية

وأحد الجميع يجهلون ذهبهم في الرهبة على حلود أسفس، وبقيمون أدة، وتنقسم بعض أدنتهم إلى فروع، ثم .
«يسكت سفرط، ويسكت الجميع . . وبعد هيبه يقول سيمياس:

إن اعلم بحقيقة مثل هذه الأمور ممنع و عسير حد في هذه الحياة ولكن من اجبن اليأس من البحث قبل لوصوب إلى آخر مدى العقل، فيجب:

* بما الاستيثاق من الحق . .

* وإم - إن امتنع ذلك - استكشاف له ليس لأقوى والتذرع به في احياز الحياة .

كما يحاطر المرء بقطع البحر على لوح خشب، ما دام لا سبيل لنا إلى مركب أمتن وأمر، أعنى، إلى وحي إلهي»^(١)

(١) «تأريخ الفلسفة اليونانية» لبوسف كرم

وبعد ذلك يعودون إلى البحث من جديد حتى
يقتنع قابس ، ويعلم سيمياس أنه مقتنع أيضاً ، إلا أن شعوره
المردوح بعظم المسألة ، ودصعف البشرى ؛ يضطره إلى بعض
التحفظ بإزاء هذه الأدلة - على وجهتها .

فيسلم له سقراط بحقه في هذا التحفظ ، ويريد قائلاً -

- بل إن المقدمات أنفسها مفتقرة إلى بحث .

إن هناك مجرد الإلهات ، وهناك البحر المائي

وكما أن للبحر المائي آلة عبور هي (السفينة) ، فإن للبحر
الإلهيات آلة عبور هي (الوحي) . فإذا استعمل الإنسان العقل
في عبور بحر الإلهيات فإنه يكون كإنسان يستعمل لوحاً من
خشب في عبور البحر المائي .

ولكن المضطر - حيث لا وحي - يستمسك بلوح الخشب ، كما
يقول سيمياس .

- ما دام لا سبيل إلى مركب أمثي وأمي ، أعني إلى " وحي
إلهي " .

* * *

٧. خاتمة في الفلسفة

إن هذه الخاتمة تجربة شخصية .
ولعل القارئ الكريم يسمح بأن أتحدث عن أخو الذي عشته في
بواكير حياتي الفلسفية .
لقد كان ذلك لأول عهدي بجامعه باريس حينما ذهبت إلى
فرنسا للدراسة .
أحب أن أصف أخو الذي عشته ، وكيف تصرفت - بتوفيق
الله - في أثنائه .
دخلت جامعه ، وبدأت الدراسة في علم الاجتماع ، وعلم
النفس ، ومادة الأخلاق ، وتاريخ الأديان .
وكنيت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ،
أو الدين تلمذوا على الأساتذة اليهود
وكنيت هذه المواد كلها سير في تيار محدد ، هو «أبها» علوم
مجتمع ..
أي أبها لا تتقيد بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضع
إلهي . فهي تدرس موضوعاتها على أنها صور اجتماعية ،
وصواهر إنسانية .
وبدأ في الدراسة سمع مختلف الآراء في بشأة الدين ،
ومختلف الآراء في تفسير أسوة ، ويتهى الأمر برأى لأستاذ في
المرصوع

وليس في هذه الآراء - على اختلافها وتعدددها - ما يتحجه إني أن
لدين وحى من السماء ، أو أن نسي موصول الأسباب بالسماء ،
وإذ انتظرت من الأسناد أن يصحح الرصع ، فبدلى في النهاية
نראה مشتتاً للإلهية واسوة هدمنا الآراء الأخرى واصفائها بأنها
صلالاً .

إذ ، تطرنا ذلك منه فيسا يكون وإهمين ، فإنه واحد من هؤلاء
لعشرات من الأساتذة في هذه المواد وما شبيهها المتغمسين في
تأريخ المادية

لقد عسرت الجامعات الأوروبية العلم على أنه تقوعد لى
تقوم على التجربة والملاحظة ، وانتمت أن ننسروا أن تشرح عدم
لاحتماخ ، وعدم النفس ، وجميع الظواهر في الأفاق ، وفي
الأنفس ، على هذا الأساس . وانتمت ذلك أيضاً في تاريخ
الأديان .

هذه المعلومات بالذات وفروعها تتكاتف لتقود لإسار
متعاونة متساندة إلى الإلحاد

إن للدين فيما يعمود نشأة إنسانية اجتماعية ، وإن للحلق -
فيما يروون - نشأة إنسانية اجتماعية ، وقد توأصع الناس على
سبوك معين سموه "قصيده" وعنى سبوك آخر سموه "رديله"
دراسة الدين و لأحلاق - إذن - تنحج الى نشأة ، وانصهر ،
وعوامل التطور وظواهر التطور . وليس للسماء في الدراسة من
نصيب ، اللهم إلا الوصف لظاهرة نشأت في المجتمع .

وكل الصواهر والمظاهر في هذه الدراسات اعتبارية ، سببية ،
منغيرة متبدلة لا تثبت على حار ، ولا تستقر على وضع ، لأنها
في كل يوم تبدل حالاً بحال .

وهذه « الأفكار » تتكرر في هذه المواد . . . تسمعها في علم
الاحتماع ، وتسمعها في عدم النفس ، وتسمعها في دراسة مادة
الأخلاق ، وتسمعها في دراسة تاريخ الأديان ، وتسمعها في
دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك

والشباب الذي انتقل من الأقسام الثانوية إلى الجامعة يتأثر
بأستاذه ، فإذا كان الأساتذة متكاتفين على هدم لقيم الثابتة ،
ولمثل العليا التي يقررها الدين ، وتقررها الأخلاق ، إذا كان الأمر
كذلك فإن الطالب الذي يعيش في أجواء تتعور كلها على هدم
عقائده ومثله وقيمه ، ينهي به الأمر . في الأغلب الأعم من
احالات . بأن تنهار هذه القيم في شعوره

ومن هنا كانت الطاهرة التي نجدها في طلبة الجامعات في أوروبا
من الاستهفاف بكثير من العقائد ، وكثير من القيم ، وينتهي
الطالب بالإحساد ، أو على أقل تقدير بالإيمان الكامن لذي لا
فعية له ، ولا تأثير له في سلوك الإنسان .

وكنت - من غير شك - أضيق بكل ما يجري في هذه
الدراسات .

وكن الله - سبحانه وتعالى - ألهمي التفكير في قيمه راء
الأساتذة أنفسهم في هذه المواد

وبدأت أفصل بين علمين من المعرفة - علم لادوات ؛ كالطب
والصناعة والكيمياء ، وهذه أمور نحكمها بتجربة ولا تتعارض
مع الدين ، ولا اختلاف فيها - وعالم تفكير لمجرد في الدين
والأخلاق والمجتمع .

وأحدث أدرس - هي أداة - هذا الخائب لأخير ، من الرواية
السارخية ، فوحدث أنه مد أن بدأ التفكير بدأ في اللحظة الأولى
الاختلاف فيه ، وبدأ كل رعيم من رعمائه ينتقد لآخرين في
عصره ، وكل مفكرى عصر يتقدون لمفكرين في العصر لسابق
عليه . . وهكذا الأمر .

وما من شك أن هؤلاء الأساتذة الذين يدرسون لم يستمع
بعضهم بعضاً في آرائهم ، ويحصى بعضهم بعض ، كما يتقدون
السابقين عليهم ويحطون بهم ، وسيصع من بعدهم صيغهم
فبوحثون إليهم النقد ويحطون بهم . وهكذا إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها .

لقد أحد «دوركايم» اليهودى يعمل معمول هدمة في كل القيم
والمفاهيم الدينية والأخلاقية ، وأحد بنميه الأكر اليهودى «نيفى
بروהל» بهج منهجه ، ويسير على طريقه في علم الاجتماع وفي
علم الأخلاق ، وكتاب سنى بروهل «الأخلاق وعلم العادات»
مثل واضح لهذا النوع من هدم القيم ، ومحاولة القضاء على كل
المثل .

فكرت - إذن - في اختلاف الآراء ، أو في هدم بعضها البعض
في مواجهة كل ما يقوله الأساندة وكسب أقرب في نفسي - في
مواجهة كل أستاذ - سيهدمك لعصرون لك ، وسيهدمك الذئب
يأتون من بعدك .

ولكنني في مواجهة كل هذه الآراء الإخبارية ، كنت أتنسج
بقدر لا شك فيه كنت أقول في نفسي : إذا كانت لأحلاق
سسية ، فهل سيأتي الزم الذي نعتقد فيه أن الصدق رديئة أو أن
الشهامة شر ، أو أن الشجاعة سوء ، أو أن العفة حريمة أو أن
كدا ، أو كذا . .

ثم أعود إلى نفسي وأقول . كلاً .
وأتساءل من حدد في مجال عقائد . هل سيأتي اليوم الذي
لا يقول فيه بر حداثة الله ؟ . أو لا يقول فيه برادته وعلمه ؟
وأعود إلى نفسي وأقول كلاً .
كنت أحول - دائماً - أن أردد أن هؤلاء القوم يسиров في
طرق لا تنتهي إلى غاية . .
- ما هدفهم من ذلك ؟

وما كنت أحد الإجابة عن هذا السؤال أشد ، لكنني عرفت فيما
بعد أن هذا هو منهج اليهودي لدى رسموه بعد تكبير طويل ،
ولتموه القمام به ، بكل الوسائل ، أو بكل الطرق . وهو منهج
التشكيك في القيم والمثل والعقائد والأحلاق

يستخدمون - هذا السطح - هي المحلات المختلفة ، لإفساد
المجتمعات وتحللها أخلاقياً وديناً ، وبصيقون إليه العمل على
اثارة العمال على أصحاب رؤوس الأموال وعلى إحاد نصعائ
والعن بين مختلف فئات الشعوب ، والثمرة التي يعملون رائين
على الوصول إليها . أن يكون المجتمع شك مليث بالقتل . وذلك
سبيلهم إلى السيطرة .

باليهود يهدفون من وراء كل ذلك إلى السيطرة على العالم ،
إنهم يحطمون القيم والمثل حتى لا يكون في المجتمعات قوة من
عند ، أو قوة من حيو ، ومن أجل ذلك يخدمو على أن يكون
هم الكلمة الأولى في المجتمعات في علم الاجتماع ، وفي علم
النفس ، وفي مادة الأخلاق ، وفي تاريخ لأديب ، ولم يكن من
لسهل على في أثناء هذه الدراسة الاستمسك الوثائق بالقيم والمثل
تي نشأت عليها ، وبولا عون من الله سبحانه ، وتوفيق منه ،
ولولا نطق الله بصوت كواحد من هؤلاء الأنوف الذين يدرسون
في جمعيات الأوربية ، ثم يحرحو - منب وقد تحطمت في
نفوسهم المثل الدينية الكريمة

وانتهيت من هذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة الثانية هي مرحلة
«الدكتوراه»

وبعد محارب هذا وهناك في محلات مختلفه من الموضوعات ،

و بعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك هدى الله - وله الحمد والمثبة -
 إلى موضوع التصوف الإسلامى ولم يكن ذلك مصادفة، وإنما
 هى هداية وتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وهى عبادة أعجز عن
 شكر الله سبحانه وتعالى عليها. وعمست فى العصر الأسبى
 فى موضوع « لرسالة » . وهو دراسة « الحارث بن أسد
 المحاسبى » .

انعمست فى حو مجموعة من « المحصولات » لهذا العالم
 الكبير، المستير، ورأيت أنه قد مرت به - هو لآخر - فترة من
 الصيق ؛ لاختلاف آراء وتفرقها، و احيرة فى أيها الحق ويها
 الصوب . ثم هداه الله سبحانه إلى الطريق الأقوم .

و وجدت فى حو الحارث بن أسد المحاسبى الهدوء النفسى،
 أو عظمأيه لروحية، ولكنه هدوء اليقين، وطمأينة الثقة بما
 يعلم

وقد ألقى بنفسه فى معترك لمشكل التى يثيرها المبتدعون،
 وللمحرفون . وأحد بصرع مفاقت، ومجادلاً، وهدياً،
 ومرشداً، متحداً الأسس الأصيب، والمصدر الأول القرآن
 ولسنة، متحذاً ذلك مقياساً وحاكماً متحكماً فى كل ما يقبل أو
 يُعمل

و انتهت من دراسة « الدكتوراه » و أشعر شعوراً واضحاً
 تمهح لمسلم فى حبة، وهو مهح « الاتباع »

إن ابن مسعود رضي الله عنه يقول كلمة موحدة عن هذا المنهج كأنها
إعجاز من الإعجاز ، إنه يقول .

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم »

وهي كلمة حق وصدق ، ثمة المعايير الطويلة العريضة ،
يسرهم أحرار على أوليها ، واليهي في وسعها يسرهم عليه أيضاً
أحراراً أي : اتبعوا فقد كُفيتُم ، والكافي هو الله سبحانه وتعالى
الذي أوحى المبادئ ، والأصول ، والقواعد ، وصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل ذلك وبيّنه ، فكان تطبيقه مقبلاً وبياناً ومرجعاً يرجع
إليه المختلفون .

« ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم » : إن الذي يبتدع هو من لا كفاية

له ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين وأتم العمة ،
فليس هناك من مجال ولا من حاجة إلى الابتداع

قد كفاها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كل ما أهمنا من أمر الدين .

وبعد أن قرأ هذا المنهج في شعوري واستيقته نفسي أخذت
أدعو إليه ، كاتباً ومحاضراً ومدرساً ، ثم أحرحت فيه كتاباً خاصاً
هو كتاب « التوحيد الخالص » أو « الإسلام والعقل »

وم فرحت بظهور كتاب من كتبي مثل فرحي يوم طهر هذا
الكتاب ، لأنه هو خلاصة تجربتي في حياتي الفكرية .

وكل ما كتبه عن التصوف ، وعن الشخصيات الصوفية ، فربما
يسير في فلك هذا المنهج ، مهج الأتباع .

وهذا لمنهج يفترض :

١- مقاومة الغزو الفكرى فى العقائد

والغزو الفكرى له محالات مختلفة هناك الغزو الفكرى فى العقائد ؛ يتمش فى كل هذا التراث بصحبه ايدى ثقل إلى اللغة العربيه ؛ فيم يتعنو عما وراء الطبيعة . وهو يراث محنّف متعاصى ، بل ومتنافس ، وهو ساح بشرى بكل ما يتسم به اسّاح الشرى من خطأ وصلال

٢- والعزو الفكرى فى نظام المجتمع

وهو لذى حاد بل أن يصر على نظام المجتمع الأوربة وإد بحر سرد فى تياره فيما يصح ولا شخصية لها ، ولا دابة ، وبصح وقد فقدنا رسالتنا التى كلفنا تتبعها للناس وبشرها ، وهى رسالة الإسلام ، التى من أحبها كانت لأمة الإسلام ، وبدون تصح الأمة الإسلامية ولا مرر بوجودها

٣- والغزو الفكرى فى مجال التشريع

وهذا الغزو الفكرى فى مجال التشريع توحّد نفسه وأصوبه بصورة مشروعة فى مختلف الاقطار العربية ممثلة فى كدّات الحقوق التى تمنع عليها الدولة وتعتمد شهاداتها .

وكدّات حقوق هذه دراستها غزو فكرى ، واستعمار فكرى ، ودراساتها اثر من اثر « الاستعمار » حتى لم نزل بعد أن رال الاستعمار .

وإذا كانت الأمم الواعية تحاول حادثة أن تخصص من وصمة الاستعمار في فيها من شرور ورحس واثام ، فإن الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تخصص من وصمة « الاستعمار » بصارخة الواضحة الممثلة في هذه الكليات

إن هذه لكليات تخصص عشرين ساعة في الأسبوع ستواين لأوربية في التفكير الاوربي في التشريع ، وتفرض على الطالب أن يداكره ويسوعه ويحفظه ويتمثله ويصح فيه في الامتحان .

أي أنها تفرص على الطالب أن يستعمر فكره الأوربيون في مجال التشريع ، وأن يلعب دأبيه الإسلامية في هذا مجال ، وأن يكون تابعاً للأوربيين في هذا مجال ، مقدماً لهم تحريره عنحتهم ، مستسلماً لعزوهم

وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة - أسبوعياً - للتفكير الأوربي في التشريع ، إذ بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الإسلامي .

ولو أن هذه لكليات في فرنسا أو في إنجلترا فعلت أكثر من ذلك

«مهج الأشاع» - يدن - بقتصيص أن ينظر في حد في أمر هذه لكليات من أجل أن تمثل الوطنية و الإسلامية والمعروفة

وبعد:

فإن «مهج الأتباع» هو خلاصة جوهرية لحاربي الخاصة
بالطريق الذي ينسعى أن يسكنه المسلم في حياته . . وإذا سار فيه
المسلم فرداً، أو سار فيه المجتمع مجتمعاً، فإن الله - سبحانه
وتعالى - يكتب له لهدوء وطمأنينة والسعادة، لأنه يكون في حوزة
رئيسي مليء برعاية الله - سبحانه وتعالى - وعديته

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ (١)

* * *

(١) سورة آل عمران ١٠١

الأساس الذي تنبثق منه الأخلاق في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

لحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين . .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

أيها الإخوة المؤمنون:

كل عام وأنتم بخير، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد هذه الذكرى المباركة وقد اتحدت كلمة زعماء المسلمين والعرب، وقد انتصر الإسلام، وقد استخلصنا «ست المقدس»، وقد طهرنا أرضنا الإسلامية من رجس الصهيونية

أيها الإخوة المؤمنون:

بني أشكر لجمعية مسجد سيدي جابر هذا النشاط الذي تقوم به . . وما من شك في أن خير النشاط الذي تقوم به تحميط القرآن، ودروس التقوية، وغير ذلك من الأنشطة التي تقوم بها؛

* هذه محاضرة للإمام عبد الحليم محمود، ألقيت في مسجد سيدي جابر بالإسكندرية

في يوم ١٧/٣/١٩٧٧م، ولد نفسها بأسلوبها ونقطها

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

فجراها الله حير ما يجرى العاملين للإسلام ونرحو الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيها، وأن يبارك في المشرعين عليها .

فيما يتعلق بأخلاقيات الإسلام إنه موضوع جليل من أهم الموضوعات ، ومن الممكن أن يتحدث الإسلام عن روائع كثيرة من أخلاقيات الإسلام . .

« الإسلام » أخلاقيات لا تكاد تنتهي الصبر الحليم . الإصاف . العدل . لإحسان إلى غير ذلك من هذه النواحي الكثيرة التي يتحدث فيها المتحدثون ، والتي استفاضة فيها السنة واستفاض فيها القرآن و آيات الأخلاق في القرآن أكثر من آيات التشريع وأكثر من آيات العقيدة نفسها . ومن آيات الأخلاق في القرآن ما يتضمنها أيضاً القصص الذي يتحدث عن الأسياء .

وأحب في هذه الليلة أن نتحدث عن الأساس الذي تستق منه الأخلاق في الإسلام

- ما الأساس الأول .. الأصيل .. الذي ننبثق منه الأخلاق الإسلامية ؟ ..

هذا الأساس يستمد كيانه من كلمة «الإسلام» نفسها أي أن هذه المحاضرة ، في هذه الليلة ، تكاد تكون موصورة على شرح كلمة «الإسلام» فلما إذ ما شرحنا كلمة «الإسلام» عرفنا

الأسس الذي تقوم عليه الأخلاق الإسلامية ، فضلاً عن الأسس الذي تقوم عليه لعقيدة ويقوم عليه التشريع .

هـيما يتعلق بكلمة « الإسلام » هذه الكلمة الإلهية الربانية

.. ما مفهومها ؟ .. ما معناها ؟ .

إن علماء اللغة حينما يتحدثون عن كلمة الإسلام ، يقولون :
إن المسلم هو من خلصت عبادته ، وخلص سلوكه لله سبحانه وتعالى .

وإذا جئنا إلى المعنى الذي فسرها به رسول الله ﷺ حينما سُئِلَ عن الإسلام . فقال - صلوات الله وسلامه عليه - .

« الْإِسْلَامُ أَنْ يُسَلَّمَ لِلَّهِ قَلْبُكَ ، وَأَنْ يُسَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ » .

.. هذا هو الإسلام في تعريف رسول الله ﷺ . . .

هذا المعنى « أَنْ يُسَلَّمَ لِلَّهِ قَلْبُكَ » . . تستفيض الأحاديث

النسوية في شرحه وتستفيض الآيات القرآنية في شرحه . . إنهم يقولون مثلاً : أَنْ يُسَلَّمَ لِلَّهِ قَلْبُكَ في العبادة والاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١) . . لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك . ومن شرحها ما قاله النبي ﷺ لابن عباس ، وقد كان - اذاك - علامة :

(١) سورة الفحة ٥

« يَا غُلَامُ ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ،
وَإِذَا سَأَلَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ
أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ؛
مَا يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ .. وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ
يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ،
جَعَلَتِ الْأَقْدَامُ وَطُويَتِ الصُّحُفُ » .

ومن معانى « أَنْ يَسْلَمَ اللَّهُ قَلْبَكَ » : الآية القرآنية الكريمة : ﴿ قُلِ
اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ (١) كل الملك . السير من أمر الملك ، والعظيم
من أمر الملك . فالعين من ملك الله ، والبصر فى العين من ملك
الله ، والأذن من ملك الله ، والسمع فى الأذن من ملك الله
القسوة من ملك الله ، والذكاء من ملك الله ، والمال من ملك
الله ، والجاه والقوة . كل هذا من ملك الله .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

كل هذا من ملك الله - سبحانه وتعالى - وكل هذا من معانى
« أَنْ يَسْلَمَ اللَّهُ قَلْبَكَ » .

وإذا أردت أن تحتصر معنى « أَنْ يَسْلَمَ اللَّهُ قَلْبَكَ » تقول ما قاله

(١ ، ٢) سورة آل عمران : ٢٦

الإمام البيروني ، أعظم عقلية ظهرت على وجه التاريخ ، بشهادة علماء أوروبا .

سئل البيروني : هل تستطيع أن تعرّف عن الإسلام بكلمة واحدة ؟
قال : نعم . . . « التوحيد » . . .

كل هذه المعاني تتبلور أيضاً في كلمة أخرى واحدة هي شعار المسلمين هي كلمة التوحيد ، هي أشهد ألا إله إلا الله ، ومعناها الحقيقي هو أن يسلم لله قلبك ، وأشهد ألا إله إلا الله من معانيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) . ومن معانيها : التوحيد ، ومن معانيها : السجود ؛ وهو أن يسجد القلب لله - سبحانه وتعالى -
« وَلِلْقَلْبِ سُجُودٌ كَمَا لِلْجَبْهَةِ سُجُودٌ » . . .

ومعنى سجود القلب : الخشوع الكامل لله سبحانه وتعالى .
« أن يسلم به قلبك » هذا هو الأساس - كما قلنا - للأحلاق الإسلامية ، وإذا أردنا شيئاً من تفصيل في معنى « أن يسلم به قلبك » فإننا نقول ما قلناه لله سبحانه وتعالى أمرأته رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٢)

« الصلاة » هنا هي لصلاة العادة التي نعرفها من قيام وركوع

(٢) سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣

(١) سورة البقرة ٥

وسجود : ولكن من وراء هذا المعنى أيضاً : أن الصلاة هي الصلة بالله سبحانه وتعالى

ومعنى هذا : أن تكون على صلة بالله سبحانه وتعالى بقلبك ، فالصلاة رمز لأعمال القلوب كما أنها - في حقيقتها - الصلاة المفروضة .

﴿ قُلْ إِنَّا صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ ^(١) و«النُّسْكُ» معناه الحقيقتي العادي البدل والتصحية والعداء وأعمال اجوارح وأعمال القلوب - إذا خلصت لله سبحانه وتعالى .

ولكن ليس ذلك فحسب ، وإنما . يعمم الله سبحانه وتعالى الأمر تعميماً فيقول : ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ ^(٢) حياته بأكملها ، حياته نوماً وبقطة ، حركة وسكوناً ، حياته قولاً وصمتاً ، حياته خطوات حياته أنفاساً . حياته بأكملها خلصت لله سبحانه وتعالى .

وليست حياته فقط ، وإنما : مماته أيضاً - صلوات الله وسلامه عليه - كان لله . ففي سبيل الله هذه الحياة لتي تمحّصت لله سبحانه وتعالى . هي قمة الفصيلة . . هي قمة الأخلاق

ومن المناسب هنا أن نتحدث - في كلمات وحيزة - عن قول رسول الله ﷺ :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

(٢٠١) سورة الأنعام ١٦٢

هذا الحديث الشريف لا يقول . إنما بُعثت لأُنشر لأخلاق
ليس هذا هو اللفظ النبوي ، إنما لفظ النبوي « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ
مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

ولا يقول إنما بُعثت لأتمم الأخلاق كلاً ، وإنما يقول : لأتمم
مكارم الأخلاق .

ومعنى هذا أن مكارم الأخلاق لم تكن قد تمت قبله . صلوات
الله وسلامه عليه . لم تكن قد تمت في شخص من الأشخاص ،
ولا في رسول ، ولا في نبي ، لم تكن مكارم الأخلاق قد تمت ،
وكان العالم ناقصاً مادةً وروحاً ، كان يقصه مكارم الأخلاق ،
فلَمْ يُجَد رسول الله ﷺ كَمُلَ الْعَالَمُ . لأنه تَمَّ مَكَارِمُ
الْأَخْلَاقِ

لَوْ سَمِ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَلَّتْ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ نَاقِصَةً
وَلِظَلَّ الْعَالَمُ نَاقِصاً فَلَمَّا بُعِثَ تَمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ، تَمَّهَا
بِدَاتِهِ ، أَيْ : بِسُلُوكِهِ ، وَتَمَّهَا بِقَوْلِهِ ، أَيْ : بِأَحَادِيثِهِ . كَانَ الْعَالَمُ
نَاقِصاً ، كَانَ يَقْصُهُ أَنْ يَتَعَطَّرَ حَوْهَ بِأَرْكَى الْأَرْوَاحِ . لَمْ تَكُنْ أَرْكَى
الْأَرْوَاحِ قَدْ وَجَدَتْ بَعْدَ .

وكان يقصه أن تتعطر مادته بأركى الأجساد ، فلَمَّا وَجَدَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَمَّ أَسْمَى شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ تَمَّتْ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ :
فَتَمَّ الْعَالَمُ مَادَةً ، وَتَمَّ الْعَالَمُ رُوحاً ، إِذْ وَجَدَتْ فِيهِ أَرْكَى الْأَرْوَاحِ
وَوُجِدَ فِيهِ أَرْكَى الْأَجْسَادِ .

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله ؛ إنما بُعثت
لتتمّ مكارم الأخلاق .

ومكارم الأخلاق التي بُعثت لتتميمها إنما هي أن يتمحض
الإنسان تمحضاً كاملاً لله سبحانه وتعالى . . . أن يكون الإنسان
ربانياً خالصاً لله سبحانه وتعالى

قلنا : إن الإسلام هو أن يسم الله قبلك . . . ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ (١) ، وهو التوحيد ، وهو السجود لله سبحانه وتعالى ،
وهو شهاد ألا إله إلا الله . . . كل هذه معني لإسلام .

والتوحيد يتحدث عنه القرآن كثيراً ، وفي سورة قصيرة ،
ولكنها كاملة تامة شاملة عامة هي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ
(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢) .

في ليلة من الليالي ، قال رسول الله ﷺ للصحابة بعد صلاة
لعشاء :

« احْشِدُوا - بمعنى (اسْتَعِدُّوا) - سَاقِرًا عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ » .
واستعدّ الصحابة - بعضهم رح يعدّ لنفسه غطاء وفرشاً ،
وبعضهم أحضر ماء ليشرب إذا عطش ، كل منهم اسعد ، فبين
لرسول سيقراً عليهم ثلاث القرآن إلى المجر تقريباً فقرأ عليهم :
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٣) . ثم ذهب إلى بيته .

(١) سورة الفاتحة ٥

(٢ ، ٣) سورة الإخلاص

فقال الصحابة : ثمة أمر حدث .

بعد فترة من الزمن عاد إليهم وقال لهم : « مَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟ » .
قالوا : إِنَّكَ قُلْتَ : سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ .
قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِي » ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ
(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ (٤) تَعْدِلُ ثَلَاثَ
الْقُرْآنِ .

وفي يوم من الأيام جىء لرسول الله ﷺ برجل يقرأ ﴿قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢) في كل صلاة ، لا يكاد يتعديها إلى قراءة غيرها .
وسأله رسول الله ﷺ : « لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَجُلٌ ؟ » .
فقال : إِنِّي أَحْبَبْتُهَا ، لِأَنَّهَا وَصَفُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
فقال ﷺ : « حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ » .
من حُبَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٣) يحب التوحيد ، والمسلم يحب
أن يكون موحدًا خالصًا لله سبحانه وتعالى .
ولنتأمل قليلاً في بعض معاني ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٤) ، في هذه
السورة التي تصف لله سبحانه وتعالى :

لم يقل الله : « قل هو الله واحد » ، ولكن قال : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ﴾ (٥) . هل هناك فرق بين واحد وأحد ؟ ما معنى « أحد » ؟

(١- ٥) سورة الإحلام

إن معانيها يتصح إذا شرحنا معنى «واحد» محمد أو حسن بوصف بأنه واحد، ولكن مع ذلك له رأس ورأس حراء، وبه عينان وكل عين جزء، وله ذراعان، وله رجلان، وله كل هذه الأجزاء، ولكنه واحد.

أى أن كلمة «واحد» لا تمنع أن يكون له أجزاء . أما «أحد» فإنها تمنع ذلك كليةً لا أجزاء له ولا تركيب فيه . نفت أولاً الشريك، ونفت التركيب.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (١) . الذى يُلْحَا إِلَيْهِ فى كل الأمور

« إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »

لأنه الصمد الذى تتجه إليه الآمال وتتجه إليه المطالب وتتجه إليه الحاجات، وهو وحده الذى تتجه إليه آمال الإنسان، يسيرة كانت أو عظيمة

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ (٢) وحاشاه، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) وحاشاه، ليس له ابن ولم يكن له أب، فهو لم يولد.

وتقرير هذه الحقيقة وتثريه الله عن الوجد يتكرر فى القرن صور أقوى ما تكون:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٤)

(١-٢) من سورة الإخلاص

(٤) سورة مريم ٨٨ - ٩٢

هذه الآيات تستعد وتستكر أن يكون لله ولد . إنه أرلى وُبدى و
ودائم ولم يكن مخلوقاً . .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾^(١) . . ليس له منيل ، وليس له ند ،
وليس به شيء ، إنه وحده الذى يخلق ويرزق ويعطى ويمنع وهو
الذى تتجه إليه الآمال .

وأنتم تعلمون من عادات اريق ، بل من المظرة . الاحتياج
إلى الولد للمساعدة والعون ، وللمساعدة تعنى الحاجة ، وذلك
نقص فيه ، ولو كن كاملين لما حثجنا إلى الولد . والله سبحانه
وتعالى . كامل لا ينقصه شيء ؛ فهو سبحانه وحده ، هو الكمال
الكامل غير ناقص ، غير محتاج إلى الابن

نرجع إلى بيان أن سورة :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ . تعدل ثلث القرآن
لأنها تقرّر العقيدة .

بعد ذلك نسأل أنفسنا :

ما أهم صفة يحلّى بها المسلم الذى أسلم قلبه لله تعالى ؟ .

هل هى السلبية ؟ . .

لا . إنها الجهاد ، والجهاد ليس سلبياً ، فبمجرد أن تسلم قلبك
لله تسخرط فى سلك المجاهدين .

(١ ، ٢) من سورة الإخلاص

إن العلامة انى توضَّح إن كنت قد أسلمت قبلك لله أم لا .
الجهاد مع المجاهدين . .

ونحن أبعد ما نكون فى جهودنا وفى عموم أحوالنا عن صفة
الجهاد . .

نضرب مثلاً يمثِّل الجهاد اليسير ومع ذلك نحن لا نقوم به :
نحن قد تضيق صدورنا بأمور « التليفزيون » أو الإذاعة أو
الجرائد ، وفى العمل اليومى - فى الشارع أو فى المكتب أو فى
الديون - قد تضيق صدورنا بأمور نراها أو نسمعها أو نشهدها ،
ومع ذلك لا يتحرك أحد من لكتابة كلمة إلى المسئولين أو برقية .
جاء رجل يبائع رسول الله ﷺ قال له : أبايحك على
الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « والنُّصح » .

فمن شروط الإسلام النصيح لكل مسلم . عندما ترى شيئاً
تضيق به صدرأ عبَّرْ فى كلمة ، أو فى حديث مع المسئولين .
لكنك لا تفعل .

إن أحد كبار المسئولين فى الإذاعة قال لى : إن هناك بلاداً إذا
حدث مجرد همسة ؛ وردت فيها مئات السرقيات للاحتجاج .
ولكن - هنا - إذا هُدم ركن من أركان « الإسلام » لا تأتينا برقية ،
ولا خطاب ، ولا احتجاج . .

المسلمون متكاسلون متواكلون .

مثال آخر :

قرأت مقالة بيست مستقيمة، رأي رسماً «كاريكاتورياً» في «التليفزيون» أوفى وسائل الإعلام يتهم على الإسلام إيك لا تهتم لا أحد يكتب احتجاجاً مع أنه لا خوف الآن من «لقبص» ولا من الاعتقال على من يكتب !
أين من يجاهد بلسانه ؟! مع أن أخص صفة لمن أسلم قلبه لله تعالى : (الجهاد).

والجهاد أنواع كثيرة . . جهاد النفس لكي تتزكى . . والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١) . .
أي : زكى نفسه .

وجهد الأسرة لكي تستقيم ، وهذه مسئولية الأب ومسئولية الأم ، ومسئولية الابن الراشد وكل أفراد الأسرة - جميعها - متضامون في المسئولية ؛ لتستقيم الأسرة ، وكنكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٢) .

نقى أنفسنا بالجهاد وترشد أهلينا إلى الفضائل ونبعدهم عن الرذائل ، فذلك وقاية لهم من النار .

(١) سورة الشمس . ٩

(٢) سورة التحريم . ٦

جهاد النفس لكي تتزكى (من علامات الإسلام) ، وجهاد
 الأسرة لكي تستقيم أمورها (من علامات الإسلام) وجهاد في
 المجتمع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وله درجاته
 ويقول رسول الله ﷺ :

« مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أُمَّةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ
 وَأَصْحَابٌ ... » .

[الطبقة الأولى الحواريون وطبقة الأصحاب الصفة
 المؤمنة] .

« ... يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِسُنَّتِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَخَلَّفَ مِنْ
 بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ »
 - ما الموقف بالنسبة لهؤلاء ؟ ...

مَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ
 مُؤْمِنٌ ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة حردل .

فمن جاهدتهم بيده فهو مؤمن . لابد من الجهاد باليد ، وذلك
 شأن الحاكم والأمر ليس فوضى في الإسلام - واحد يحاهر
 بالسكر يواحه الحاكم باليد ، بالسلطة ، وبالحس ، وبالسحر

وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ والجهد باللسان هو
 النصيحة والإرشاد والهداية

« وَلَأنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »

وهذا الجهاد باللسان هل هو من مهمة علماء الأهرم والوعاص
والأئمة فحسب؟! . . ليس الأمر كذلك ، لماذا ؟ . .

لأن المسؤولية تترتب على المعرفة . هذه قاعدة عامة ، أو
مطلقة ؛ فمعرفة أني أمثلاً بحرمة خمر كمعرفة أي شخص من
الشعب . ومعرفة هي مستويين فيما يتعلق بالجهاد .

والمسؤولية على كل من يعرف أن الخمر حرام وكذا مسئول
أمام الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بهذا الأمر ' سواءً ورحالاً
وشدداً وشباباً ؛ لأن المسؤولية تترتب على المعرفة .

أحمر لعنها الله وارسول ﷺ ومهـ « البيرة » ولسا في
حاجة لأن تؤكد ذلك ، ولستأ نحن فقط الدين نقول عنها ذلك ؛
المؤتمرات التي تُعقد في أمريكا ، والتي يحضرها علماء النفس
و لاحتراع ، ويحضرها الكيميائيون والأطباء والصيادلة ، تقرر
هذه المؤتمرات أن البيرة نوع من الخمر ، والخمر يلعنها الله في
نفسها كمادة ويلعنها في شربها ، ويلعنها في عاصرها وفي
حاملها ، يلعنها في كل الظروف وفي كل الملابس الخمر
حرام من رحس الشيطان ، إنها أم الحبائث . كما يقول التعبير
الشعبي .

حدث أمر في غاية الغرابة - شركة مصر للصيران حدث فيها أن
بعض الصبَّاط الطَّيَّرين امتسعوا عن حمل الخمر في الطائرات لأنه

حرام، كنت أتصور أن ترسل إليهم الشركة «حواب شكر»
لاهتمامهم بديهم وامتناعهم عن حمل الخمر لأن حملها يصر
وقد يسبب كثرة . .

ماذا فعلت شركة الطيران ؟ . . كنت بهم . واحد منهم
مستمر في القاهرة مع أسرته بقتة إلى أسود . . والثاني نقلته إلى
الأقصر . وتهديدات لا حصر لها بالعرامة والفصل وعا بصر
الموظف .

ويأتى هؤلاء إلى الأزهر . ويكتب شيخ الأزهر خطاباً إلى
مدير شركة الطيران ويبيّن له حكم الله في هذا الأمر، وأن هؤلاء
الناس فضلاء . . لكن لم تسجب الشركة .

وأنتم تعلمون أن الأزهر ليس سلطة تنفيذية، وهذا الخطاب
نُشر في الصحف . كنت أتوقع بعد نشره ومعرفة الصغير
والكبير له أن يتصل أحد المسؤولين بالشركة ويقول لهم «اخشوا
على أنفسكم» .

لماذا تشبث الشركة بالخمر ؟ . .

تقول : من أجل السائحين .

وهذا كذب، فالشركة السعودية لا تحمل الخمر، ولا تباع
الخمر، ولا تشتري الخمر، والإقبال على الشركة السعودية أكثر
من الشركة المصرية .

هذا مثال ننقله - في صورة عابرة - يبين أننا - فيما يتعلق بالجهاد -
لا نقيمه كما ينبغي . .

الجهاد باللسان واجب يترتب على المعرفة ، وما دام كلنا يعرف
فالمسئولية علينا جميعاً وليست المسئولية وحسب على الوعاظ من
علماء الأزهر .

والمسئولية تترتب على المعرفة وليست على المهة لأنها إيمان
وإسلام .

أما الجهاد بالقلب فهو بالنسبة لنا جميعاً أضعف الإيمان ، لكنه
ليس سلبياً . . فأنت حينما ترى المنكر تسير في طريقك وتسنعيذ
بالله وتقول : الحمد لله الذي عافاني من هذا . بهذا تكون ثمراً
وليس قولك هذا جهاداً بالقلب . .

المسئولية هي الصحيحة فإن لم تستصع تأتي مرحلة الجهاد
بالقلب فإذا كان المخالف للدين تاحراً فلا تشتري منه . . وإذا
اشتريت منه فأنت آثم ، وإذا كنت أنت التاجر وهو الشاري فلا
تبع له (والله يعوض) ، وإذا كان مرشحاً في الإدارة أو في البرلمان
فلا تتخبه ولا تصاحبه ولا ترافقه

كل هذا منبثق من أنك تسلم لله قلبك . . إذا أسلمت فالجهاد
هو الصفة الأساسية التي تنبثق من القلب عندما تتحدث بهذه
الصورة

بعض الناس تشاءموا بالجهاد في الإسلام جهاد متفائل ،
والشخص المتفائل هو الذي يعمل ويسعى ويحتهد ، والشخص
المتشائم حامل تشاؤمه يجعله في كسل وفقر ؛ ولذا فاجهاد
الإسلامي متفائل .

وهناك صورة نحتّم بها الحديث عن الجهاد المتفائل في عزوة
الأحزاب :

اليهود ألوا الحريرة العربية على المسلمين في المدينة . .
والمسلمون هي المدينة عددهم محدود ، وذلك في السنة الخامسة
من الهجرة . واليهود بمالهم وبمكرهم وسحقهم كانوا بالحريرة
العربية يؤلبون على لإسلام . وحشيت القبائل جيوشها احرارة
بما عندهم من العدد والعدة . وتأتى هذه الحيوش بحور المدينة
لتقضى عليها ديا ودياً وتسويها بالأرض

لم يكن في هذا لعمل شهامة ، أو مروءة . تأتى كل هذه
الحوش لتقضى على قرية صغيرة . . ماذا فعل المسلمون ؟

شاور الرسول ﷺ الصحابة ، وانتهى أمر لمشورة بالاتفاق
على أن يحفروا خندقاً . . فليحمر الخندق .

وكان الرسول ﷺ يحمل التراب معهم على كتفه ، ويعمل
كم يفعل الآخرون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ،
وكبار الصحابة ، وكلهم يحفرون الخندق .

أقطع الحديث دقائق لأقص قصة أحد الصحابة ، أى رجل

رسول الله ﷺ يلوح عليه شيء من الإجهاد فذهب إلى زوجته وقال لها: ليس عندك طعام أدعو إليه رسول الله ﷺ؟ فقالت إن عندها ما عزا . وعندما مقداراً من الدقيق وهذا يكفى رسول الله ﷺ وعددٌ قليلاً معه .

وذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ ودعه وقال له . وليكن معك شأن أو ثلاثة . . وإذا برَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول للجميع وكانوا حوالي سبعين أو ثمانين شخصاً . هب إلى طعام فلان . أخرج الرجل . . ماذا يقول الرجل ؟ . .

سوى الصحابي وراح لأمراه مصطرباً حَجَلاً وقال لها . حدث كذا وكذا . .

فسأته : هل قلت لرسول الله : مقدار كذا وكذا ؟

قال : نعم .

فقالت له : هو أعلم شأنه .

وجاء رسول الله ﷺ وأخذ هو الطعام . (تدقيق مع عموم خبزاً ولما عر مشوى) . أخذ الطعام وقال لأحد الصحابة : أدخل عشراً ، وأخذ يعطيهم ، فأكلوا ، ثم أدخل عشرة ثنية ، وعشرة ثالثة ، إلى أن أكل الجميع وبقي لأهل بيت صعام كثير .

هذا الذي أقصه ليس حديثاً صحيحاً وليس من الأحاديث التي تُترك ، روته كتب السنة مثل البحارى ومستم ، وهو صحيح

كانوا يحمرون الخندق وقد قسموا الخندق بكل قسم مجموعة من الصحابة يختصون بحمّره، والرسول ﷺ يعمل كما يعمل الآخرون، فاعتصت طائفة منهم صخرة لا تعمل فيها المعاول، ولو تركت يمكن أن تكون معبراً للجيش المعادية، فأقبلوا على رسول الله ﷺ، وحدثوه عن الصخرة، فأخذ المعول - وهو قوى روحياً - وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وضرب الصخرة فانهار جزء منها، فقال:

«الحمد لله، فُتِحَتْ فَارِس، وإِنِّي لأَرَى الْمَدَائِنَ وَأَرَى قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».

ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وهوى بالمعول فانهار جزء ثان، وقال الرسول ﷺ:

«فُتِحَتِ الشَّامُ.. وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».

ثم هوى بالمعول مرة ثالثة فانهدرت الصخرة.. قال:

«الحمد لله.. فُتِحَتِ الْيَمَنُ، وإِنِّي لأَرَى أَبْوَابَ صَنْعَاءَ»

وكان سلمان الفارسي يحواره فقال له رسول الله ﷺ:

«هَذِهِ فُتُوْحٌ يَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ»

فكان سلمان، فيما بعد - في عهد سيدنا عمر - حاكماً على

المدائن متربعاً في قصرها الأبيض يقصُّ هذه القصة ويقول في

نهايتها: صدق رسول الله ﷺ.

هذا هو جُهاد امتثال ، هذه هي النتائج لمن أسلم قلبه لله . هذه هي النتائج . نتائج وثمرات للفرد والأسرة للفرد باعتباره فرداً ، والأسرة باعتبارها أسرة ، وللمجتمع كله .

فإذا أسلم الفرد قلبه لله ، وإذا أسلمت الأسرة قلبها لله ، وإذا أسلم المجتمع قلبه لله . هكذا يالون نصر وسعة الرزق وحماية الله سبحانه وتعالى وتوفيقه ورعايته .

كل ذلك يحيط بالفرد إذا أسلم قلبه لله ، وبالأسرة إذا أسلمت وجهها وقلبها لله ، وبالمجتمع إذا أسلم قلبه لله .

هناك قضيتان : قضية النصر ، وقضية استمرار النصر .

في القرآن قواين النصر ، وقواين استمرار النصر .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَتَّخِلَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾^(١) . هذا قانون النصر

واستمرار النصر يتوقف على هؤلاء .

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) . وبعثوا عن

اللهو والملاهي . .

﴿وآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٣) .

(٢ ، ٢) سورة الحج . ٤١

(١) سورة النور . ٥٥

أيها الإخوة المؤمنون :

إنا إذا أسدما قلوب لله سبحانه وتعالى ، وانتهى بنا الأمر إلى أن مجاهد في سبيله فإن الله سبحانه وتعالى يتكفل بـ بكل خير إن قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) لا يحده حدود شَرَّهم بالنصر ، شَرَّهم بالفوز ، وبشَرَّهم سعة الرزق ، شَرَّهم معصية الله ويحب الله ويرحمه الله وبشَرَّهم برضوان الله ، وبشَرَّهم بكل خير .

وفي نهاية حديثنا هـ : نتقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - بأحطوة الأوسى في تاريخ القرب منه . وهي التوبة الصادقة الخالصة النصوح .

في هذه الليلة المباركة من شهر ربيع الأول ، شهر رسول الله ﷺ ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بقبول التوبة نقول جميعاً .

* تُسأل إلى الله ورجع إلى الله وندم على ما فعل وعزمنا على ألا نعود لندب أنداء ونحن بريئون من كل دين يحالف دين الإسلام ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . وأن سيدنا محمداً ﷺ رسول الله رضى الله عنه وبالإسلام ديناً ، وسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً .

(١) سورة التوبة ١١٢

* اللهم صل على سيد محمد الحبيب ، الشميع ،
لرؤوف ، لرحيم ، الذي أحس عن ربه الكريم أن الله تعالى في كل
نفس مائة ألف فرج قريب اللهم صل على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً ، وكُنْ توباً للمؤمنين رؤوفاً رحيماً .

الصلاة الأولى هي صلاة الفرح . .

والصلاة الثانية ذكرها أحد الصالحين ، ولي من أولياء الله ،
كان يرى رسول الله ﷺ في أسرياً ، فقال : في المرة المقبلة
حينما أراه أسأله عن الصلاة التي أصلّيها عليه فكانت هي التي
علّمها إياه رسول الله ﷺ . .

والصلاة الثالثة للشيخ المدبولى ، من أولياء الله . . وهذه
الصلاة من أجمل الصلوات :

« اللهم إنا نسألك بك أن تُصَلِّيَ وتُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ،
وعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ .. وَعَلَى لِهَم ، وَصَحْبِهِمْ ،
أَجْمَعِينَ .. وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا مَا مَضَى ، وَأَنْ تَحْفَظَنَا قِيَمًا نَقِي ..
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »

والحمد لله ..

* * *

مراجع الكتاب

• القرآن الكريم

- ١- تفسير القرآن العظيم - لابن كثير .
- ٢- روح المعاني - للآلوسي
- ٣- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي .
- ٤- أنوار التبرين وأسرر التأويل - للبيضاوي .
- ٥- الكشاف - للرمخشري
- ٦- مفردات القرآن - للراغب الأصفهاني .
- ٧- تفسير القرآن الكريم - للشيخ محمد عبده .
- ٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري - لاس ححر العسقلاني
- ٩- صحيح الإمام مسلم .
- ١٠- المستدرک علی الصحيحین - للحاكم النيسابوري .
- ١١- المسند - للإمام أحمد بن حنبل
- ١٢- صحيح ابن حبان .
- ١٣- الجامع الصحيح - للإمام الترمذي
- ١٤- سنن أبي داود .
- ١٥- سنن ابن ماجه .
- ١٦- سنن النسائي .
- ١٧- سنن الدارمي
- ١٨- السنن الكبرى - للبيهقي

- ١٩- شعب الإيمان - للسيهقي .
- ٢٠- المعجم الكبير - للصراني .
- ٢١- المصنف - لابن أبي شيبة .
- ٢٢- الأم - للإمام الشافعي .
- ٢٣- الرسالة - للإمام الشافعي .
- ٢٤- السيرة النبوية - لاس هشام .
- ٢٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبي نعيم الأصبهاني
- ٢٦- الصفات الكبرى - لاس سعد .
- ٢٧- معجم الأدباء - لياقوت الحموي .
- ٢٨- إخبار العلماء بأخبار الحكماء - للقفطي
- ٢٩- الفكاهة - للزبير بن بكار .
- ٣٠- الشوقيات - لأحمد شوقي .
- ٣١- إحياء علوم الدين - للإمام أبي حامد العراقي
- ٣٢- المنقذ من الضلال - للإمام أبي حامد العزالي .
- ٣٣- تهافت الفلاسفة - للإمام أبي حامد العراقي
- ٣٤- حى بن يقطان - لابن طفيل .
- ٣٥- الإشارات والتنبيهات - لاس سنا .
- ٣٦- فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال - لاس رشد
- ٣٧- الرعاية - للمحاسبي .
- ٣٨- فهم القرآن - للمحاسبي .

٣٩. لطائف الإشارات - لدقشبرى
٤٠. اجمهورية - لأفلاطون
٤١. الفلسفة اليونانية - لأبير ريفو .
٤٢. تاريخ الفلسفة الغربية - لبرتراند رسل .
٤٣. تاريخ الفلسفة اليونانية - ليوسمب كرم .
٤٤. المشكلة الأخلاقية والفلاسفة - لأندريه كريستوب .
٤٥. الأخلاق وعلم العادات - لليفى بروهل
٤٦. الرد على المطلقين - للإمام ابن تيمية .
٤٧. الفتوى - للإمام ابن تيمية
٤٨. الفصل فى الملل والأهواء والنحل - للإمام ابن حزم .
٤٩. الدين والوحى والإسلام - للشيخ مصطفى عبد الرزق
٥٠. قصة النزاع بين الدين والفلسفة - للدكتور نوفيل الطويل
٥١. بناء الإنسانية - لريفولت .
٥٢. تجديد التفكير الدينى فى الإسلام - للدكتور محمد إقبال
٥٣. محاضرات فى العلوم عند العرب - للدكتور عبد اخليم مسصر .
٥٤. دائرة المعارف الإسلامية .
٥٥. مجلة «الرسالة الإسلامية» - وزارة الأوقاف بالعراق

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
الفصل الأول	
موقف الإسلام من الفن	٩
١- ونبدأ بالشعر	١١
٢- الأدب نثراً	٣٣
٣- التصوير	٣٨
٤- التصوير الفوتوغرافى	٤٥
٥- رأى أفلاطون	٥١
٦- إيضاح حول «الفن للفن»	٥٧
٧- الخلط بين المذاهب الفنية والأدبية وبين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بتصور العقيدة	٦١
الفصل الثانى	
موقف الإسلام من العلم	٦٥
١- دائرة العلم فى الإسلام	٦٧
٢- العلم الذى يدعو إليه الإسلام	٧٣
٣- أهداف الرسالة الإسلامية	٧٩
٤- منزلة العلم فى الإسلام عن طريق القصص	٨٣
٥- الطريق المباشر لبيان مكانة العلم فى الإسلام	٨٨
٦- فضل العلم الدينى	١٠٧
٧- ثمرة البحث على العلم	١١٢

- ٨- أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم ١٢١
 ٩- المناهج العلمية بين الإسلام والحضارة الحديثة ١٢٨
 ١٠- إجمال في موقف الإسلام من العلم ١٣٥
 ١١- العلم في الدائرة الصوفية ١٣٧

الفصل الثالث

- موقف الإسلام من الحضارة الحديثة :** ١٤٥
 ١- الآراء المختلفة ١٤٧
 ٢- الشطر الأول من الحضارة (القسم المادي) ١٥٢
 ٣- الشطر الثاني من الحضارة (القسم الثقافي) ١٥٩
 ٤- ما يتعلق بالتشريع ١٦٧

الفصل الرابع

- موقف الإسلام من الفلسفة :** ١٧٩
 ١- البشرية تسير في طريق الخطأ منذ سقراط ١٨١
 ٢- ليس كل دراسة «فلسفة» ١٨٨
 ٣- محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة ١٩٠
 ٤- الجو الذي نشأت فيه الفلسفة ١٩٩
 ٥- سمات الفلسفة ٢٠٣
 ٦- منهج الفكر الفلسفي ٢١٩
 ٧- خاتمة في الفلسفة ٢٢٢

الفصل الخامس

- الأساس الذي تنبثق منه الأخلاق في الإسلام** ٢٣٣
***مراجع الكتاب** ٢٥٨
***فهرس محتويات الكتاب** ٢٦١



عربية الطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

● كثيراً ما يلتبس على بعض الناس المفهوم الحقيقي لزاوية من زوايا الثقافة ، وكثيراً ما يلتبس عليهم أيضاً موقف الدين من جانب من جوانبها .

● ومن أجل إحياء المفاهيم الإسلامية كان هذا الكتاب الذي يتناول بالتحليل العميق علاقة الدين ببقية موضوعات المعرفة ؛ موضعاً بالتفصيل موقف الإسلام من الفن (بأنواعه المختلفة) ، وأيضاً موقف الإسلام من العلم، وأهداف الرسالة الإسلامية، ومنزلة العلم في الإسلام، وفضل العلم الديني ، وثمرة الحث على العلم، وأسطورة التعارض بين الإسلام والعلم، والمناهج العلمية بين الإسلام والحضارة الحديثة ، والعلم في الدائرة الصوفية . وأيضاً موقف الإسلام من الحضارة الحديثة بقسميها المادي والثقافي، وما يتعلق بالتشريع . وأيضاً موقف الإسلام من الفلسفة، وبيان أن البشرية تسير في طريق الخطأ من سقراط، والسمات الحقيقية للفلسفة ، والجو الذي نشأت فيه الفلسفة ، ومنهج الفكر الفلسفي ، ومحاولات التوفيق بين الدين والفلسفة . وينتظم الكتاب فصل عن الأخلاق الإسلامية، والأساس الذي تنبثق منه الأخلاق في الدين الإسلامي.

● ودار الرشاد إذ تقدّم إلى القراء في مصر والعالم العربي والإسلامي هذا الكتاب المهم : « موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة » لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود .. تدعو الله العليّ القدير أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين في سائر أرجاء أمتنا الإسلامية الناهضة .

الناشر

عصام رشاد

طرازالمنار